جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي

آليات الخطاب الحجاجي في الحكم العطائية لابن عطاء الله

فهد درهم محمد الغانمي
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة إب، اليمن
E - mail: Fahdaghanmi@gamil.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن خصائص البنية الحجاجية في نصوص الحكم العطائية لابن عطاء الله، بوصفها نصوصًا توجيهية وتعليمية، يهدف مؤلفها إلى تقديم موجهات سلوكية تُقَوِّمُ سلوك العبد وتهذبه، وتفسر له الكثير من الحقائق الغامضة التي يقابلها في طريقه. وما يكتنفها من أحداث قد تبدو في ظاهرها مزعجة، غير أنها في باطنها تحمل الكثير من الخير، وقد كان الدافع إلى إجراء هذه الدراسة هو ما وجده الباحث فيها من قيم حجاجية، امتزجت فيها اللغة بالفلسفة، بأسلوب أدبي رائع.

ونظرًا لأن طريق السالك/ المريد تتطلب الزهد في الدنيا والابتعاد عن مغرياتها وزينتها، وهو أمر قد تأنفه النفس البشرية التي تميل إلى المتع والملذات؛ فإن آليات بناء الخطاب الموجه له لابد أن تشتمل على أدوات استدلالية حجاجية، تقوي من إمكانية تَقَبُّله، وتأثيره الفاعل في المتلقي بما يفضي إلى تغيير معتقداته وأفكاره تجاه نزواته ورغباته، ومن ثم سلوكه وأفعاله، وقد أفاد الباحث في معالجته لآلية الحجاج في هذه الحكم من معطيات نظرية الحجاج والنظريات اللسانية الحديثة.

وقد تجلت تلك الآليات الحجاجية في سلسلة من الأدوات اللغوية والبلاغية ذات البعد الحجاجي، فضلاً عن ما يصاحبها من المقومات الخاصة بسياق الخطاب الصوفي، ابتداءً بمكانة الشيخ - منتج النص - وما يمتلكها من مقومات خطابية، وانتهاءً بعناصر المقام الأخرى التي تسهم إلى حد كبير في توجه دلالة الخطاب وتهيئته لاستقباله.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الوقوف عند عنوانين فرعيين تتربع عليهما الدراسة، هما:

1. نظرية الحجاج (عند القدماء، والمحدثين).
2. الوسائل الحجاجية في الحكم (اللغوية، والبلاغية).

مع التقديم لهذه النقاط بمهاد نظري عام حول مصطلح الحجاج، ومدلولاته اللغوية والاصطلاحية، ثم رؤية عامة حول خصوصية الحكم البنائية. ثم خلصت الدراسة إلى عدة نتائج، تتعلق بطبيعة الاستعمال الحجاجي للحكم.

الكلمات المفتاحية: الحجاجية، الحكم العطائية، ابن عطاء، السالك، وسائل.

مدخل:

مع اهتمام الدراسات اللسانية الحديثة بفهم عملية الاتصال اللغوي، ودراسة أبعاده والطرق والأساليب التي يتوسل بها المتكلم في تواصله مع المتلقي، ومدى تأثيرها في توجيه سلوكه والتأثير فيه؛ ظهرت الكثير من النظريات التي عنيت باستعمال اللغة، وانشغلت بسياقات التلفظ، فبرزت نظرية علم النص والتداولية، ونظرية الاتصال، والتلفظ وأفعال الكلام... وغيرها.

ويعد البعد الحجاجي من أهم الأبعاد التي انبثقت عن النظرية التداولية، وغايته دراسة الطرق والأساليب التي يتبناها المتكلم للتأثير في المتلقي والتغيير من معتقداته، وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله من خلال الخطاب المطروح.

ولما كانت الحِكَم نصوصًا صوفية - بحسب الآراء التي تناصرت لهذا الوجه - بوصفها محملة على المستوى الخطابي بقيم توجيهية، تعليمية، فإن الأمر مرده في هذا الوعي إلى طريقة المنتج، الذي يسعى من خلاله إلى توجيه السلوك التعبدي والعملي لدى السالك المريد. وهو المعتبر في توجيه دراستنا، إذ تقتضي الحكم لهذه الغاية أدوات تداولية أو آليات حجاجية مشبعة بالقدرة على التأثير والإقناع؛ لتحقيق الهدف المنشود من إنتاجها كان لابد من اعتمادها على الكثير من الآليات والمقومات الحجاجية التي يمكن أن تسهم في تغيير معتقدات السالك/ المريد والتأثير في سلوكه، وفهمه لكثير من القضايا التعبدية، ما أسهم في منحها قوة إنجازيَّة واضحة.

بالإضافة إلى البعد التخاطبي لهذا النمط من النصوص - سياق النص الصوفي- التي تمنح الشيخ سلطة خطابية شبه إلزامية؛ كونه من شيوخ الصوفية وعلمائها المعروفين، ما أضفى على الخطاب طابعاً خاصاً، فجاء يحمل في طياته قوة إنجازية مؤثرة، تنبع من المكانة التي يكتسبها الشيخ في المقام الصوفي؛ إذ للشيخ في الفكر الصوفي سلطة مطلقة على المريد أو السالك "لا تقتصر على هداية المريد وإرشاده وتبصيره بعيوب نفسه، بل إنها تتعدى ذلك إلى كون الشيخ واسطة بين المريد وربه يقوي العلاقة بينهما من خلال تحبيب الله إلى العباد وتحبيب العباد إلى الله".[1]

وهكذا جاءت الحكم العطائية تحمل بعداً حجاجيًا منطقيًا في الغالب الأعم؛ إذ يعرض الحقائق والسلوكيات التي ينبغي أن يلتزم بها السالك/ المريد في رحلته الروحانية نحو الله تعالى، استلهامًا لقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[الذاريات: 50]، فعرضها عرضًا منطقيًا يعتمد الحجة والدليل، متخذًا من الخطاب الحجاجي ركيزة أساسية في بلاغ الأفكار وتصوير المقاصد.

مفهوم الحجاج:

ورد في معاجم اللغة "حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ"[2]، و"حَجَّه: قَصَدَهُ وحججتُ فلانًا: اعتمدتهُ، وحَاجَّهُ مُحَاجَّةً: غَلَبَهُ، والحجةُ: الدليل والبرهان، أو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. حاجَّه محاجَّةً وحِجَاجًا: نازعه الحجَّةَ. والتَحَاجُّ التَّخَاصُم. وحَجَّ الشَّجَّةَ حَجًّا: إذا سبَرَها بالمِيلِ ليعالجها أو يصلحها[3]. والحجة: "الدَّلَالَةُ المُبَيِّنَةُ للمَحَجَّةِ؛ أي المَقَصَد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين"[4].

ومن خلال استقراء الدلالات المعجمية لمادة (ح ج ج) تَبَيَّنَ أَنَّهَا وردت بمعنى: القصد والاعتماد، والدليل والبرهان والمتانة، والمنازعة والمغالبة والتخاصم، والإصلاح، والنكوص. وبالنظر في هذه الدلالات يدرك المتأمل أَنَّهَا جميعاً تدور حول معنيين، هما: القوة والغلبة، فالحُجَّة والمحاجة من الناحية اللغوية تعني قوة في البيان.

الحجاج عند القدماء:

يصنف الحجاج قديمًا ضمن علوم البلاغة والخطابة، وفن الإقناع، كالجدل والتناظر ومثَّل مجالاً معرفيًا تدَّعي امتلاكه العديد من العلوم والمعارف، مثل علوم الخطابة والبلاغة والمنطق وينازع كلٌ منها العلوم الأخرى في وصايته عليه. ولهذا الجدل جذورٌ عميقة تمتد إلى أرسطو الذي صمم كتاب الخطابة في ثلاث مقالات، هي: وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول،[5] وقد ربط بين خاصية الكلام والتعبير عند الإنسان وبين الإقناع؛ "لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن

الإقناع ويحاوله، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوبي به من الطبيعة".[6]

وقد اهتم به العرب منذ القدم وأولوه عناية كبيرة، فتجسد في خطابات الجاهليين، متمثلاً في المناجزات الخطابية والمنافرات القبلية في العصر الجاهلي، ثم ظهر بشكل بارز في العصر الإسلامي ولاسيما في التناول القرآني والسنة النبوية، فورد في التناول القرآني في مواضع كثيرة، وبمسميات متعددة، كالبرهان والبيان، والحجة، والمخاصمة، والحكمة البالغة، والجدل، وفصل الخطاب. وعلى الرغم من تنوّع هذه المفردات فإن الحجاج يجمعها ضمن مساحة المشترك الدلالي. ولعل ما يفهم من الاستعمال القرآني والخطاب النبوي في الحديث الشريف من دلالة الحجاج يدخل ضمن الحجاج في الاستعمال القرآني والخطاب النبوي يفهم أن من يقدر على المحاججة ويمتلك مهارات الإقناع هو الأجدر بالفوز وإقناع الآخر، وإن كان على غير الحق؛ إذ المقياس هو القدرة على توظيف أدوات اللغة أو وسائل الإقناع فيها، بمعنى أن الغلبة في الحجة تكون للأقدر على توظيف تلك الإمكانيات اللغوية والوسائل الحجاجية في خطابه.

وقد اهتم علماء البلاغة قديماً بالكلام وفنون القول ومقوماته التي يمكن من خلالها تحقيق الوظيفة التواصلية بنجاح، ونالت لديهم عناية كبيرة، تحقيقًا لثنائية الفهم والإقناع، وهي الثنائية التي أخذت حظًا من تداول القدماء، بوصفها مدار الأمر في التناول والمعالجة؛ لأن مدار الأمر والغاية كما يذهب الجاحظ منوط بالفهم والإفهام، ذلك " لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان"،[7] وهي في تصورها التداولي الحديث مركوزة على الفهم والإقناع.

ويناط الحجاج لدى ابن وهب الكاتب(ت: 335هـ) بالجدل والمجادلة، فيقول: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات"[8]. وكما يذهب إليه فهو يضع الحجاج ضمن دلالة الجدل، مصنفاً له إلى محمود ومذموم، مشيراً إلى أهميته ومكانته، بقوله: "فأما المحمود، فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة... وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته، وبين عن حقه، وقصر عن القيام بحجته"[9].

وهو عند أبي الوليد الباجي (ت: 474هـ) "من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا؛ لِأَنَّهُ السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم"،[10] فيشير إلى أهمية الحجاج مُبَيِّنًا أبعاده الوظيفية في الاستعمال، ويتحدث عن أنواعه في حديثه عن الجدل المحمود والمذموم.[11]

وَيَعُدُّهُ حازم القرطاجني (ت: 684هـ) من أوجه الكلام؛ لأن " كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"،[12] فيميز بين الإخبار والاقتصاص والاحتجاج والاستدلال. كما ميَّز بين آليتين لإقناع الخصم، هما التمويهات والاستدراجات، وكلتاهما من الاستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع، مشيرًا إلى ذلك بالقول: "وتلك التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في

احتذائها"، [13] ثم يميز بين هاتين الاستراتيجيتين بقوله: "التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول". [14]

وهكذا يَتَبَيَّنُ أنَّ الحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم قد انحصر في لونين خطابيين، هما: "خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل، وفيما بين النحاة والمناطقة، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين". [15]

الحجاج في العصر الحديث:

تطور الحجاج في العصر الحديث وأصبح نظرية لها قواعدها وأسسها، فاهتم به الكثير من الباحثين، وغدت لفظة حجاج ومحاججة تطلق على العلم وموضوعه، ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم، وربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب. [16]

وظهرت الكثير من الجهود في محاولة تأطير نظرية عامة لدراسة الحجاج، ومن تلك الجهود ما قام به برلمان وتيتكاه؛ إذ يعرَّفُ لديهما بأنه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم". [17]

وغاية الحجاج في تصورهما " أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وُفِّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يجعلهم يُقْبلون على العمل المطلوب(إنجازه، أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفِّقَ على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة"؛ [18] فهو "وثيق الارتباط بالفعل... وقد عمقت البلاغة المعاصرة هذا التلازم الحتمي بين نفاذ الخطاب وحدوث التغيير بوصف هذا الأخير الدليل على حصول الاقتناع الفعلي لدى المعنيين". [19]

ويرى (أنسكومبر) و(ديكرو) أن الحجاج متجذِّر في اللغة؛ أي إنَّهُ لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج والعكس صحيح، على أساس "أن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا (ق1) أو (مجموعة من الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر(ق2) أو (مجموعة من الأقوال)، إن (ق1) يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور (ق2)، ويكون هذا قولا صريحًا أو ضمنيًا". [20]

ومن الأمثلة التي قدماها: "إن في قولنا لنخرج إلى النزهة بما أن الطقس جميل، أو في قولنا: الطقس جميل فلنخرج للنزهة، يكون (ق1) هو الطقس جميل، و(ق2) هو: فلنخرج للنزهة". [21] وهكذا نفهم من جميع الأقوال السابقة أن الحجاج وسيلة لغوية يسعى المتكلم من خلالها إلى إقناع مُخَاطَبه (بفتح الطاء) بما يقدمه له في الخطاب المطروح.

أما الحجاج عند العرب والمسلمين فقد ارتبط بممارسة الخطابة والجدل الفكري، وذلك أن الفاعلية الحجاجية يراد منها عندهم مغالبة المخالف في المذهب أو الرأي بإظهار الحجة. ولا يهم في الحجة أن تفيد البرهان أو الإقناع؛ لأن المطلوب هو إفحام السامع؛ ولأن الحجة ذاتها لا يراد منها ما أفاد معنى قاطعا. ذلك لأن "الحجة هي الدليل نفسه إذا كان برهانا أو إقناعا أو شغبا". [22] ويرى آخرون أن الحجاج "فاعلية خطابية تستهدف الإفهام والإقناع، وتبعا لذلك فإن بنيته الاستدلالية ستكون متميزة عن بنية الاستدلال البرهاني". [23]

وقد ظهرت لنا العديد من الدراسات المتصلة بالحجاج، ومنها دراسات الدكتور أبو بكر العزاوي الذي اشتغل

بدراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية، منها (نحو مقاربة حجاجية للاستعارة)، إذ طبق فيها مفهوم السُّلَم الحجاجي على الاستعارة في هذا المقال، مستنتجًا أن الاستعارة تَفْضُلُ الحقيقة من ناحية قوتها الحجاجية،[24] ثم تناول نظرية السلالم الحجاجية، التي تفتح أمام الباحثين نافذة لتقدير القيمة الحجاجية للأقوال وأساليب التلفظ، ثم تناول الروابط والعوامل الحجاجية ومدى تعلقها بالمبادئ الحجاجية وأعطى أمثلة بروابط وعوامل حجاجية من اللغة العربية.[25]

من جهة أخرى فقد أخذ الحجاج بعدًا فلسفيًا لدى الدكتور طه عبد الرحمن، المعتبر في هذا التناول كما يذهب الباحث منوط بالمنطق؛ إذ يرى فيما تناوله بكتابيه: (اللسان والميزان) و(الخطاب والحجاج)، "أنَّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناءً على أنه لا خطاب بغير حجاج"،[26] .ويعرف الحجاج انطلاقًا من مبدأين أساسيين هما: قصد الادعاء، وقصد الاعتراض؛ "إذ حُدَّ الحجاج أنه كل منطوق به موجَّه إلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"،[27] كما استعرض أيضًا أنواع الحجاج وأصنافه، وركز على السُّلَم الحجاجي بوصفه عمدة الحجاج، ودرس الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلاً لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني، مضيفًا خاصية أخرى للحجاج وهي الحوارية؛ إذ جعلها في ثلاث مراتب (الحوار، المحاورة، التحاور)، ثم عالج أيضا المنهج الكلامي في ممارسة المتكلمين للحوار.[28]

ومن هنا يتجلى أن هدف الحجاج اقناعيٌ، تأثيري، يسعى إلى التأثير في المتلقي، وعليه عرف الحجاج بأنه: "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع".[29]

كما يصنف الحجاج إلى صنفين (الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي)، يعتمد على استحضار المرسل للمتلقي - ومدى تعاطيه مع النص- من عدمه، ذلك أن المرسل يكتفي أحيانًا في انتاج خطابه بآلية بنائه دون الالتفات إلى إمكانيات التلقي، وما لدى المتلقي من حجج قد يواجه النص بها. وقد يُجَرِّد المرسل من نفسه متلقيًّا - كونه أول من يتلقاه بعد إنتاجه- ويضع تلك الحجج المقترحة أو المُتَوَقَّعَةُ في حسبانه، فتصبح أساسًا يبنى عليه الخطاب.[30]

وهذا يعني أن المرسل يضع نصب عينيه كل الاحتمالات التي يمكن أن تحول دون تحقق الاتصال بنجاح، وحصول الفهم والإقناع، فيُقَدِّم لها الحجج والبراهين التي تفندها، وتحول دون نشوئها لدى المتلقي، الأمر الذي يؤكد ضرورة الاقتناع بفحوى الخطاب المقدم، ولا سيما إذا كان الخطاب يحمل أبعاداً خطابية مميزة كالخطابات الوعظية والتعليمية، كما هو الحال بالنسبة لنصوص الحكم العطائية موضوع الدراسة، فهي نصوص وعظية يسعى منتجها للتأثير في المتلقي(السالك/ المريد) وتوجيه سلوكه التعبدي على أسس ومبادئ محددة ترتبط بالآداب الشرعية والدينية.

وفضلاً عمَّا سبق، يكتسب هذا النوع من النصوص مؤثراتٍ أخرى إلى جانب الحجج والبراهين، تتمثل بالمكانة التي يمتلكها منتج الخطاب (ابن عطاء) من الأعراف والتقاليد المرتبطة بالسياق العام للحكم وهو سياق الخطاب الصوفي، الذي يمنح الشيخ سلطة تخاطبية ملزمة تقوي من حجاجية كلامه، وتزيد من فرض الإقناع به.

ويلاحظ أن أغلب نصوص الدراسة- إن لم تكن كلها- تقع في إطار بنية الحجاج التقويمي؛ إذ يعتمد منتجها في كل حكمه على آلية واحدة، وهي مخاطبة المرسل إليه (السالك/ المريد) وكأنه حاضرٌ أمامه باستعمال تراكيب لغوية توحي بأن بناء الحكم هو بناءٌ حواريٌّ بين طرفي الاتصال، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال صيغ الطلب (امرًا، استفهامًا، نهيًا) وتكرار ضمير المخاطب(الكاف) في أغلب

الحكم وهذا ما سيتضح بشكل أكثر من خلال الدراسة والتحليل لآليات الحجاج في النماذج المعتمدة.

الوسائل الحجاجية في الحكم العطائية:

تمثل نصوص الحكم العطائية خطابًا وعظيًّا وتعليميًّا وتربويًّا، يهدف إلى تقديم موجهات سلوكية للسالك/ المريد في رحلة سيره إلى الله تعالى؛ ومن هنا فإن عملية التأثير والإقناع تُعَدُّ من صلب أهدافه، فوظيفته الأساسية هي جعل المتلقين يمتثلون المضامين التي يريد إقرارها في حياتهم، وبهذا يكون خطابًا حجاجيًا بالدرجة الأولى، يقوم على الكثير من الوسائل والآليات الحجاجية التي تسهم في تحقيق مراد منتجه، وإثبات قوة حجّته فيما يطرح.

لقد كانت اللغة وما تزال أرقى أنواع السلوك الإنساني، وأهم وسائل التواصل والتأثير والتوجيه في حياته، ويختلف الناس في درجات استعملها، و"مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ لِأَنَّهُ لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطَب بها"، [31] بمعنى أن لمهارات الاستعمال دورًا بارزًا في تحقق الهدف وإقناع المتلقي بفحوى الخطاب؛ لِأَنَّ المعاني مرتبطة بالمباني، وينبغي أن تكون على دقة عالية وإحكام بديع، تُراعى فيه السياقات بشتى أنواعها حتى تصل إلى مطلبها تأثيرا وإقناعا. وبناء عليه يمكن أن نقف عند بعض البنى اللغوية التي وظفها ابن عطاء الله لتسهم بشكل فعّال في منح حكمه التأثير والإقناع، ومنها:

أولاً: بنية التكرار:

يُعَدُّ التكرار عنصرًا مهمًا في بناء النص اللغوي؛ كون المعاني أكثر وأوسع مدى من الألفاظ، الأمر الذي يستدعي إعادة الأصوات والألفاظ والجمل بطرقٍ مختلفة حتى يتمكن المتكلم من بلوغ مرامه في الاستعمال اللغوي، والتعبير عن المعاني المراد إيصالها للمتلقي، فضلًا عن أنه ظاهرة لُغَوِيَّة تسهم في تحقيق الربط بين مفردات النَّص، وهو أبلغ من التأكيد، ويفيد الإفهام.[32] كما يؤدي وظائف خطابية عدة عبّر عنها بالإفهام والإفصاح، وتوكيد الكلام وتقرير المعنى وإثباته.[33]

فإعادة اللفظ أو التركيب مرة تلو أخرى في مواضع متفرقة من النص، يمثلُ سمةً حجاجيةً مهمة تسهم في المحافظة على العنصر المكرر حاضراً على امتداد مساحة النص، فيؤكد على أهميته، ويسهم في جعل النص منسجمًا بنائيًّا وتداوليًّا وحجاجيًّا و" ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المورد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع، الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنياتٍ لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضاً التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه".[34] ويمكننا التوقف عند بنية الحكمة (178) التي يقول فيها:

"تَحَقَّقْ بأَوْصافِكَ يُمِدّكَ بأوصافِهِ. تَحَقَّقْ بذُلِّكَ يُمِدّكَ بعِزِّهِ. تَحَقَّقْ بعَجْزِكَ يُمِدّكَ بقُدْرَتِهِ. تَحَقَّقْ بضَعْفِكَ يُمِدّكَ بحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ"

فقد تكرر الفعل (تحقق) أربع مرات ليؤدي وظيفة دلالية مهمة في سياق هذه الحكمة، فحواها الإشارة إلى تنوع العلاقات التعبدية التي يمكن أن يمارسها السالك في اتصاله بربه ﷻ، وفي كل نمط من هذه العلاقات ينال العبد من ربه أنواعًا من الإمداد والهبات الربانية، كما نجد التوازي التركيبي بين أجزاء الجمل الأربع، ومن خلال هذه الوظيفة لفعل الأمر تتجلى القيمة الحجاجية في بنية النص، فضلا عما ولَّد هذا الفعل في بنية النص من بنية إيقاعية قوية، تشكلت من طبيعة الأصوات المُكَوِّنة لهذه المفردات المكررة، فصوت القاف الذي تكرر في بنية الفعل(تحقق)، فضلاً عن صوت التاء، وصوت الدال في بنية الفعل

المضارع(يُمِدّكَ)، الذي تكرر على نحوٍ موازٍ لفعل الأمر، ما أسهم في التشكل النغمي الرائع، الذي يمكننا بيانه في الترسيمة الآتية:

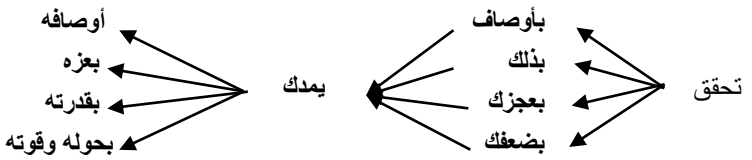

الشكل رقم (1)

يستطيع المتأمل أن يدرك في هذا الشكل أهمية هذه القيم التي اعتمدها ابن عطاء قيمًا حجاجية، متجسدة من خلال قانون السببية الذي ربط بين أنواع العطايا بأنواع العبادات، بالإضافة إلى النغمة الايقاعية التي رسمت ملامح النص صوتيًّا، فتآزر هذا التناغم مع البنية الدلالية مؤكداً أهمية التحلي بتلك القيم المكررة، لتستقيم عبادة السالك المريد، ويفوز بكل هذه العطاءات الربانية.

ويمكننا القول بأن التكرار هو سمة غالبة على بنية الحكم العطائية، بما ورد منه من صور متنوعة شملت جميع عناصر النص الصوتية والتركيبية والدلالية والتداولية.

ثانيًا: الروابط الحجاجية:

يُعَدُّ الرَّبط وسيلة مهمة في تحقيق السبك النصي والربط بين أجزائه من خلال التكرار والإحالة والحذف وغيرها من الآليات التي تسهم في المحافظة على بقاء مساحات المعلومات، كما يشير إلى العلاقات التي بين تلك المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات.[35] وتُعَدُّ "الروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، على أن الحجاج مكونٌ أساسي من مكونات اللغة"؛[36] حيث تعمل على تحقق الربط بين قولين في المنطوق الخطابي، وتسهم في ضبط العلاقات بين الحجة والنتيجة؛ بمعنى أن الرابط الحجاجي هو الذي "يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منها أفعالًا لغوية يحمل عليها وهي منفصلة"،[37] ويختلف عن الربط النحوي والربط الدلالي؛[38] لأن الأول مجاله ربط موضوعات كالفاعل والمفعول إلى محمولاتها، والثاني يتم فيه ربط الموضوعات إلى الفعل بواسطة الحرف من خلال دلالته الخاصة، أما الربط التداولي فـ"يركز على العلاقة التي تربط الكل الدلالي التركيبي من جهة، ومتداول اللغة من جهة ثانية".[39]

ولأهمية هذه الروابط الحجاجية فإنها تعد من أهم الأسس التي انطلق منها انسكومبر وديكرو في نظريتهما، بمقتضى: 1) أن وظيفة اللغة الأساسية هي الحجاج. 2) إن المكوِّنَ الحجاجي أساسي في المعنى، والإخباري ثانويٌ. 3) عدم الفصل بين الدلالة والتداولية، والدعوة التداوليات المدمجة".[40]

وتزخر اللغة العربية بأدوات روابط حجاجية كثيرة شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، منها: بل، لكن، إذن، لاسيما، وحتى، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي...إلخ،[41] وتستعمل هذه الأدوات لبناء العلاقة المنطقية بين مكونات النص؛ فتكون تعليلاً، أو مبينة للسبب، وقد يلجأ المرسل إليها لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه، ويمكن الإشارة إلى بعض تلك الأدوات التي مثل استعمالها سمة بارزة في بنية الحكم العطائية، وقد قسمت بحسب ما يقع بعدها في النص إلى أنواع أربعة:

أولاً: الروابط المدرجة للحجج:

ويقصد بها تلك الروابط الحجاجية التي تسهم في إدراج الحجج المفسرة للظاهرة المطروحة في الخطاب، وهي كثيرة، منها "حتى، بل، لكن، لأن، مع ذلك ..."[42]

ومن نماذجها:

1)أداة التعليل (لِأَنَّ):

تُعَدُّ الأداة(لأنَّ) من أهم أدوات التعليل في العربية؛ حيث يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، تستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه؛[43] بمعنى أَنَّهَا تدرج الحجج المبررة للقيام بالفعل أو الترك، وقد مثلت آلية مهمة في بنية الحكم العطائية، وجاءت لوظيفة التعليل في بنية النص، إذ يبدأ ابن عطاء الحكمة بتقديم حقيقة من الحقائق التعبدية التي يجب أن يفهمها السالك/ المريد، ثم يتبعها بتفسير وتعليل بواسطة الأداة (لأنَّ) ليبرر حصول تلك الحقيقة على الهيئة الحاصلة، بذكر مبرر أو أكثر، ومثالها قوله في الحكمة(71):

"إنَّما جَعَلَ الدّارَ الآخِرَةَ مَحَلّاً لِجَزاءِ عِبادِهِ المُؤْمِنينَ؛ لأَنَّ هَذِهِ الدّارَ لا تَسَعُ ما يُريدُ أنْ يُعْطِيَهُمْ. وَلِأَنَّهُ أَجَلَّ أَقْدارَهُمْ عَنْ أنْ يُجازِيَهُمْ في دارٍ لا بقاءَ لَها".

فقد وردت أداة التعليل في بنية الحكمة مرتين لتعليل حقيقة تأجيل المولى ﷻ جزاء عباده الصالحين إلى الحياة الأخرة، فيورد حجتين، (ح1) أن الحياة الدنيا لا تتسع لنعيمه ﷻ لأوليائه، (ح2) أن هذه الدار فانية ولا تستحق أن تكون محلاً للجزاء، لقصر المقام فيها.

وقد حرص ابن عطاء الله من هذا الطرح إلى تقديم الأدلة لإقناع السالك/ المريد بالزهد فيها وعدم الاهتمام بها على حساب العبادات والطاعات، وهذا هو الأسلوب المتبع في معظم الحكم العطائية حيث يسعى المؤلف إلى تقديم حقيقة ما، ثم يورد الحجج التي توضح علة حصولها بهذه الكيفية.

2)الرابط الحجاجي(حَتَّى):

تُعَدُّ (حَتَّى) من العوامل الحجاجية المهمة في اللغة، وهي من الروابط التي تدرج حججاً قوية؛[44] إذ تسهم في خلق علاقة حجاجية سليمة وتراتبية، لما توفره من تقوية للحجة، حتى يغدو العامل الحجاجي هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ،[45] كما تفيد تحقيق التساوق الحجاجي، وهذا الاستعمال يتجلى بوضوح في بنية الحكم العطائية من خلال توظيف (حتى) للتعليل والاستدلال، أو تفسير حقيقة من الحقائق العامة التي يعيشها الإنسان في طريق سيره إلى الله تعالى، ومثالها قوله في الحكمة(235):

"أرادَ أنْ يُزْعِجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتى لا يَشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ"،

فقد أدرجت (حَتَّى) في هذه الحكمة حجة قوية (ح1- لا يَشْغَلَكَ عَنْهُ) لتسهم في تقوية اليقين لدى المتلقي بأن ما يصيبه في هذه الحياة من القلق والنفور من الحياة بكل ملذاتها، إِنَّمَا هو فضل من الله تعالى ليخلِّصه به من التعلق بالدنيا ومغرياتها إلى التعلق به سبحانه وتعالى، فهو الذي ينبغي أن يتعلق به العبد؛ كونه القادر على كل شيء، فأسهم هذا التوظيف لـ(حَتَّى) في الكشف عن حقيقة تعبدية يجهلها الكثير من الناس، فحواها حصول القلق والاضطراب من كل ملذات الحياة التي تشغل الإنسان عن طاعة الله وعبادته.

وهذا الأداء الحجاجي لـ(حتى) في هذه المثال واضح من خلال الوظيفة التي تؤديها، فهي تفيد التعليل، بمعنى أن ما قبلها علةٌ لما بعدها، وهي في هذا المقام مرادفة لكي التعليلية، فيكون المعنى (أرد أن يزعجك عن كل شيء كي لا تكون لشيءٍ غيره) فقد استعملت (حَتّى) هنا للحجاج والإقناع، لِأَنَّهَا جاءت تحمل معنى السببية؛ لتحقيق غايات حجاجية،[46] فالانزعاج من كل شيء سببٌ للتفرغ للعبادة والانشغال بالله تعالى عما سواه.

3)الرابط الحجاجي (لام التعليل):

تُعَدُّ (لام التعليل) من الروابط التي تدرج الحجج فتربط بين الحقائق المطروحة في التركيب اللغوي وبين الحجج التي تبرر حصول تلك الحقائق أو عدم حصولها، ومثالها قوله في الحكمة (53):

"أَوْرَدَ عَلَيْكَ الوارِدَ لِيَتَسَلَّمَكَ مِنْ يَدِ الأَغْيارِ. ولِيُحَرِّرَكَ مِنْ رِقِّ الآثارِ"

فقد جاء الرابط وهو(اللام) بعد النتيجة المقدمة ([ن] ورود الوارد من الله تعالى على العبد) ليربطها بحجتين/ (سببين) كانتا وراء ورود هذا الوارد (ح1) لِيَتَسَلَّمَكَ مِنْ يَدِ الأَغْيارِ، (ح2) ولِيُحَرِّرَكَ مِنْ رِقِّ الآثارِ، فأسهم في بيان علة الورود، كما يتضمن سياق الحكمة نتيجة ضمنية أخرى هي الكامنة وراء هذا البناء الاستدلالي، وهي مطردة في كل الحكم، والمقصود بيان فضل الله تعالى على العبد بأن اصطفاه وأبعده عن الدنيا ومغرياتها- الأغيار والآثار في الحكمة- ليدنيه منه ويقربه إليه.

4) الرابط الحجاجي (الفاء):

يُعَدُّ (الفاء) من حروف العطف التي تفيد الترتيب والتعقيب، قال سيبويه: "هي تضم الشيء إلى الشيء، كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في أثر بعض، وذلك قولك: مررت بعمرو فزيد فخالد"، [47] مع دلالته على السببية الجوابية، على أن فكرة الترتيب والتعقيب نفسها تحمل وظيفة السببية، [48] ويسهم في تحقيق الانسجام النصي من خلال الربط بين أجزائه فيؤدي وظيفة حجاجية من خلال ترتيب النتائج وتعليقها على الأحداث. ومن هنا استعمل في جملة الجزاء والجواب في كثير من الحكم، ومثالها قوله في الحكمة(4):

"أَرِحْ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبيرِ. فما قامَ بِهِ غَيرُكَ عَنْكَ لا تَقُمْ بِهِ لِنَفْسِكَ"

فقد وظف ابن عطاء الفاء توظيفًا حجاجيًا؛ إذ جاء بـ(الفاء) رابطًا حجاجيًا مدرجًا لحجة تبرر النتيجة المطروحة (أرح نفسك من التدبير) فوقع الرابط في جواب الطلب، وأدرج الحجة المبررة لهذا الطلب (ح1) فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك، لقد تضافر في هذه الحكمة فعلا الطلب (أرح، لا تقم) مع الفاء في تشكيل البنية الحجاجية للحكمة، بهدف تصحيح المسار العقدي لدى السالك المريد؛ حتى لا يظن أن ما يحققه في الحياة هو من اجتهاده وحنكته، وإنما هو بتوفيق الله تعالى. هكذا جاءت (الفاء) لتخلق التشويق وتشد ذهن المتلقي وتدفعه نحو التطلع لتفسير حقيقة القضية المطروحة في بداية الحكمة، ثم يأتي بالرابط بعده على سبيل الترتيب والتعليل فيمنح النص درجة عالية من الإعلامية التي يكون لها أثر في إذكاء المقبولية والتأثير في المتلقي.

ثانيًا: الروابط المدرجة للنتائج:

ويختلف هذا النمط من الروابط الحجاجية عن النمط الأول، في أَنَّ أدواتها تسهم في إدراج النتيجة بعد تقديم الحجج، على طريقة القياس المنطقي الذي يبدأ بالمقدمات ثم ينتهي إلى النتيجة المترتبة عليها، وله أدوات كثيرة منها" إذن، لهذا، كي، لذلك..."[49] ومن نماذجها:

1) الرابط الحجاجي (كي):

تُعَدُّ (كي) من الروابط الحجاجية التي تفيد التعليل وتبرر وقوع الحدث، فتكون بمنزلة لام التعليل معنى وعملاً، [50] وتستعمل (كي) كرابط مدرج للنتائج في بنية النص الحجاجي؛ إذ يعمد المتكلم إلى طرح حجة أو أكثر ثم يأتي بـ(كي) وبعدها النتيجة المترتبة على تلك الحجج، مثالها قوله في الحكمة(235):

"إِنَّما أَجْرى الأذى عَلى أَيْديهِمْ كَيْ لا تَكونَ ساكِناً إِلَيْهِمْ"

يلاحظ أن الأداة (كي) جاءت لتربط الحجة المتقدمة عليها في بداية الكلام (ح1) إِنَّمَا أجرى الأذى علي أيدهم)

بالنتيجة الواقعة بعدها(لا تَكونَ ساكِنًا إلَيْهِمْ) فعملت على الربط والتبرير الحجاجي، فضلاً عن الدور الذي أحدثه العامل الحجاجي (إِنَّمَا) ؛ إذ حصر الفعل(أجرى) على شبه الجملة(على أيديهم) وهم فاعل الحدث المباشر، لتحقيق الغاية الحجاجية الاستدلالية المدرجة بـ(كي)، ويلاحظ في هذا النمط من التراكيب أن المؤلف كان يتخذ من أسلوب القصر آلية حجاجية يستدل بها على تفسير الوقائع والأحداث ؛ بهدف الكشف للسالك/ المريد عن نعم الله تعالى عليه وأن كل قضاء يقضيه الله تعالى هو خير له.

2)الرابط الحجاجي (لأجل ذلك):

ويتركب هذا الرابط من لام الجر ولفظ (أجل) من الْأَجَلُ، وهو غَايَةُ الْوَقْتِ،[51] واسم الإشارة (ذلك)، ويستعمل التركيب كاملاً لأداء وظيفة حجاجية استنتاجية هي بيان النتائج المترتبة على تلك الحجج الواردة في بداية التركيب، مثالها قوله في الحكمة (104):

"أنارَ الظَّواهِرَ بأنْوارِ آثارِهِ، وأنارَ السّرائِرَ بأنْوارِ أوْصافِهِ. لِأَجْلِ ذلِكَ أَفَلَتْ أنْوارُ الظَّواهِرِ، ولَمْ تَأفلْ أنْوارُ القُلوب والسَّرائر"[52]

فقد عمد ابن عطاء إلى حجتين، (ح1) أنارَ الظَّواهِرَ بأنْوارِ آثارِهِ، (ح2) وأنارَ السّرائِرَ بأنْوارِ أوْصافِهِ، ثم بنى عليها نتيجتين بواسطة الرابط الحجاج(لأجل ذلك) ؛ كونها مترتبة عليها، وهما: (ن1) أفلت أنوار الظواهر، و(ن2) لم تأفل أنوار القلوب، وهو بذلك يودُّ أن يقرر حقيقة دينية تعبدية مهمة في حياة العبد السالك/ المريد، فحواها أن عليه تقوية إيمانه والتعلق بالله تعالى، وعدم الركون إلى الحياة الدنيا بملذاتها ؛ لِأَنَّهَا زائلة وفانية، ويجسد ابن عطاء هذه الحقيقة في قضيتين حجاجيين، هما:

ق1: الظواهر (الموجودات في الحياة) ⟵ مخلوقات مضيئة ⟵ تأفل (لأن مصيرها الفناء).

ق2: السرائر (القلوب، العقول، الأروح) ⟵ النور الرباني ⟵ لاتأفل (لأنها مصدر النور).

ويمكن توضيح طبيعة العلاقة الحجاجية في هذه الحكمة من خلال الشكل الآتي:

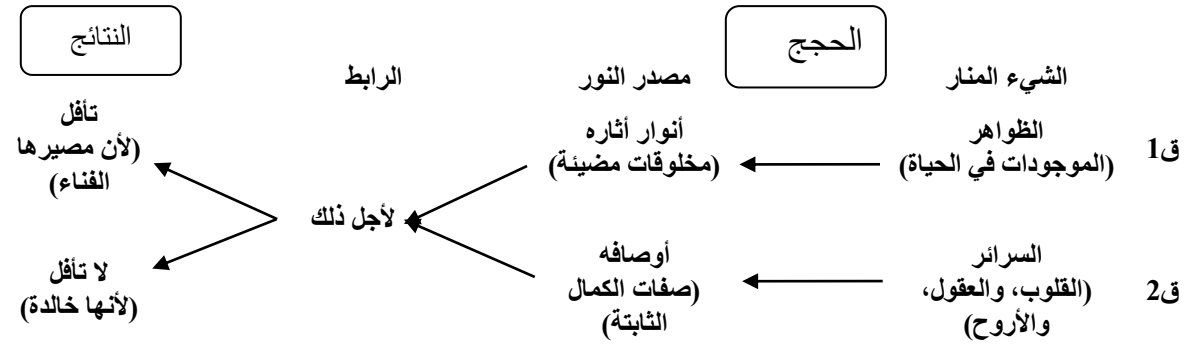

الشكل رقم (2)

ومعنى الحكمة أنه لما كانت هذه الآثار التي تعكس نور الله ﷻ مخلوقات كونية كغيرها فقد كان محكومًا عليها بالتحول والاضمحلال، ذلك أن أنوار الظواهر تأفل وتغيب بزوال ما انعكست عليه، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن الظواهر الكونية كلها إلى الزوال والفناء، فالوقوف عندها والتعلق بها من الوهم الذي يجب عدم الاغترار به. أما الجزء الثاني من الحكمة فيتلخص بأن الله ﷻ جعل الأرواح والأفئدة والعقول مهبطاً لتجليات رحمته وإكرامه وحبه، فإذا استنارت العقول والأرواح

بنور الإيمان والهداية التي مصدرها النور الرباني الذي يمد الله به أولياءه فإنها باقية لا زوال لها.

ثالثًا: الروابط التعارض الحجاجي:

ويقصد بهذا النوع من الروابط تلك الأدوات التي تربط بين قولين متعارضين، بأن يكون ما بعدها معارضًا لما قبلها، ويميز ديكرو وأنسكومبر بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطالي، فيشيران إلى أن اللغة الفرنسية تشتمل على أداة واحدة، تؤدي الوظيفتين، في حين أن بعض اللغات تستعمل لكل وظيفة أداة خاصة، ويرى الدكتور أبو بكر العزاوي أن العربية تلتقي مع الفرنسية في أن كلاً من الأداتين (بل)، و(لكن) تستعمل للحجاج والإبطال معًا، وقد استعملت (لكن) في الحكم العطائية.

1) الرابط الحجاجي (لكن):

وَتُعَدُّ (لكن) من روابط التعارض الحجاجي؛ كونها "تتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا ويستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي"،[53] فتجمع بين كلامين متعارضين، ويرى الحجاجيون أن الحجة التي تقع بعد هذا الرابط أقوى من الحجة التي قبله في خدمة النتيجة،[54] ومن نماذجها قوله في الحكمة(207):

"لا تَسْتَبطِئْ مِنْه النَّوالَ، ولكِنِ اسْتَبطِئْ مِنْ نَفْسِكَ وجودَ الإقْبالِ"

يوظف ابن عطاء(لكن) في توجيه السالك/ المريد إلى حسن الظن بالله تعالى، ومعرفة حقيقة النفس البشرية التي ربما تكون هي العائق الحقيقي أمام إجابة الله للدعوة والحرمان من الخيرات.

فاحتج على العبد الغافل بالاعتماد على (لكن) الذي ربط بين حجتين لهما توجه حجاجي واحد وإن كانتا حجتين متعارضتين، فلا بد من أن يكون خبر الثاني مخالفاً لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك؛ ولذلك لا تقع إلا بين متنافيين، بوجه ما،[55] فتكون الحجة التي بعده وهي(اسْتَبطِئْ مِنْ نَفْسِكَ وجودَ الإقْبالِ) أقوى من الحجة التي قبله (لا تَسْتَبطِئْ مِنْه النَّوالَ) في خدمة النتيجة المضمرة (فتسيء الظن به)؛ إذ أدى (لكن) وظيفة الانتقال من غرض إلى آخر، لهما توجه حجاجي واحد، ويخدمان نتيجة واحدة، هي(إحسان الظن بالله تعالى)؛ حيث نفى ابن عطاء الله أن يكون تأخر الإجابة من الله تعالى، لعدم إرادته الجود على العبد، واستدرك أن ذلك إِنَّمَا يكون بسبب إعراض العبد عن الله تعالى، وبعده عنه، أو أنه قد يكون لحكمة أخرى تصب في صالح العبد يعلمها الله تعالى.

وعليه فإن (لكن) ربط بين حجتين متعارضتين - (لا تَسْتَبطِئْ مِنْهُ) ↔ (اسْتَبطِئْ مِنْ نَفْسِكَ) - على سبيل المفارقة والمقابلة الموجبة، من خلال إقامة علاقة حجاجية بينهما، فالحجة الواردة قبله تحمل نتيجة ضمنية (فتسيء به الظن)، والحجة التي بعده تحمل نتيجة ضمنية معارضة للنتيجة الأولى (أحسن الظن بالله). لذلك عملت (لكن) الربط الحجاجي بين الأمر الذي قبلها، مع نقيضه الذي بعدها، بهدف تحقيق غاية واحدة، هي توجه السالك/ المريد إلى التعلق بربه وإحسان الظن به، واتهام النفس بالغفلة والتقصير.

رابعًا: روابط التساوق الحجاجي:

لقد قدم كل من ديكرو وأنسكومبر وصفا للأداة الحجاجية المقابلة لـ(حتى) في اللغة العربية، فأقرا أن الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي إنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي؛[56] كونها تستعمل في مواضع للتساوق الحجاجي، أي تساق الحجج لخدمة نتيجة واحدة، يمكن معرفة ذلك من السياق التداولي الوارد فيه، وثمة أدوات كثيرة تقوم بهذا الأداء الحجاجي، مثل،

الواو، لاسيما، حتى...،[57] سبق الإشارة إلى حتى، يمكن الإشارة إليها على النحو الآتي:

1)الرابط الحجاجي(الواو):

يُعَدُّ (الواو) من أهم أدوات الربط في العربية، وهو من حروف العطف التي تؤدي وظيفة حجاجية في بنية النص الحجاجي، من خلال ترتيب الحجج بطريقة وصل بعضها ببعض، لغرض تقوية هذه الحجج ووضعها بشكل نسقي أفقي، تقوي كل حجة منها الأخرى؛[58] فتنهض بوظيفة الجمع بين حكمين متطابقين، بعكس أدوات التعارض الحجاجي التي تربط بين متضادين، فهي تجمع بين الحجج المتعددة الموصلة إلى حكم واحد وهو النتيجة،[59] ويمثل حرف(الواو) أكثر أدوات الربط حضورًا في بنية الحكم العطائية على الإطلاق، ومثاله قوله في الحكمة(70):

"مَنْ رَأَيْتَهُ مُجيباً عَنْ كُلِّ ما سُئِلَ، ومُعَبراً عَنْ كُلِّ ما شَهِدَ، وذاكِراً كُلَّ ما عَلِمَ، فاسْتَدِلَّ بذلِكَ عَلى وجودِ جَهْلِهِ"

فقد أورد في هذه الحكمة ثلاث حجج متسقة غير منفصلة، يقوي كلٌ منها الأخرى، بواسطة الرابط (الواو)، وكلها معطوفة على المفعول الثاني للفعل (رأي)، فأسهم الرابط في سردها بشكل متساوق، وكلها أدلة جعلها ابن عطاء علامات تدل على وجود الجهل، وهي الآلية المتبعة في معظم الحكم؛ حيث يلجأ ابن عطاء إلى سرد مجموعة من الأدلة والبراهين المختلفة التي يؤكد بها الحقيقة المطروحة، ففي الحكمة المذكورة يورد ثلاث حجج جعلها دليلاً على جهل العبد، ويمكن بيان ذلك من خلال الشكل الآتي:

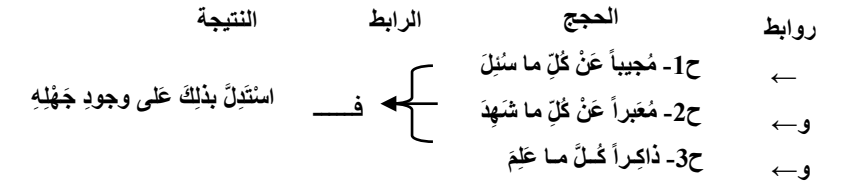

الشكل رقم (3)

فقد أسهم حرف (الواو) في الربط بين الحجج الثلاث في تسلسل متساوق وفقًا للمعرفة الصوفية؛ فجاءت متضافرة في غرضها والغاية واحدة هي إثبات جهل من اتصف بها، كما أسهم حرف الفاء في إدراج النتيجة المترتبة على هذه الحجج.

ثالثاً: العوامل الحجاجية:

تمتلك اللغة إمكانات متعددة تؤهلها لتحقيق وظيفتها التواصلية في مختلف الظروف والمواقف؛ ومن هذه الإمكانات أنها ذات طاقة حجاجية هائلة جعلتها محورًا للدراسة والتحليل في مختلف النظريات المواكبة للفكر الإنساني، فقد صاغ لها ديكرو وأنكسومبر العوامل الحجاجية التي تعمل على تكثيف المكونات الحجاجية وتقييدها لنص ما، بمعنى أَنَّهَا تقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الملفوظ اللغوي الواحد، بهدف زيادة النتيجة القابعة وراء ذلك الحجاج، وشحن الكلام ليؤدي وظيفة تتلاءم مع مقاصد المحاجج؛ لِأَنَّ العامل الحجاجي عبارة عن مورفيم إذا دخل في الخطاب أسهم في زيادة الإمكانات الحجاجية للكلام إسهامًا فعَّالاً، وزاد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما.[60]

وبناء على ذلك عُرِّفَ العامل الحجاجي بِأَنَّهُ: "عنصر لساني يصدق عليه تعريف الصرفم، له وظيفة الحد من غموض الملفوظ ومن تعدد نتائجه، وذلك بتقديم النتيجة الملائمة للمتقبل وبالقضاء على استلزام لا يعضد النتيجة"،[61] فكل مورفيم يسهم في اختزال الاحتمالات المتوقعة في الملفوظ ويدفع بالمتلقي نحو أقربها للمعنى

المقصود، يُعَدُّ عاملاً حجاجيًا، وفي العربية يوجد الكثير من هذه العوامل التي تؤدي مثل هذه الوظيفة، كأدوات النفي، أدوات القصر، والتوكيد، أو بعض المكونات المعجمية مثل (ربما، تقريبًا، كاد، قليلا، كثيرًا، منذ (الظرفية)، في الأقل، ضمير الفصل...)، وقد مثل توظيف القصر والتوكيد والنفي عوامل حجاجية سمة بارزة في بنية الحكمة العطائية، ومن نماذجها:

1)الحجاج بعامل التوكيد:

الأصل في الإخبار أن يلقى الكلام مجردًا من المؤكدات، إلا أن يكون ثمة ما يدفع المتكلم لتأكيد كلامه، إذا رأى أن المتلقي قد يشكُّ في صحة الخبر، أو ينكره، وهذا يعني أن دخول أدوات التوكيد في بنية النص تجعله ذا بعدٍ حواري تفاعلي؛ كونها دليلاً على وجود خصومة أو تناحر وصراع، كما أن هذه المؤكدات تمثل وسائل حجاجية تستدعي الضمني وتومئ إلى النتيجة وتدفع إلى استنتاجها.[62]

ومن هنا وضع النحاة القدماء للتوكيد ثلاثة أغراض، "أحدها: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، وثانيها: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط... والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا".[63] فالغاية منه لا تخفى في إظهار التأثير والإقناع في المتلقي، وهي غاية تداولية حجاجية في المقام الأول. فالمعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فإذا كانت الجملة خالية من المؤكدات فهي للإخبار فقط، وإذا زيد فيها مؤكد واحد، فهي للإخبار، وإثبات ما بعدها، ودفع الشك والظن، أما إذا زيد فيها أكثر من مؤكد فهي للإخبار، وإثبات ما بعدها دفعا للإنكار، فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني.[64]

وللتوكيد أدوات كثيرة، كأدوات القصر وهي أبرزها استعمالاً؛ وحرف التوكيد، وقد... وغيرها.

أولاً: التوكيد بـ(القصر):

يُعَدُّ القصر من العوامل الحجاجية التي تسهم في تحديد دلالة الملفوظ وتوجهيه نحو هدف محدد، يسعى المتكلم إلى إبرازه وجذب انتباه المتلقي إليه؛ كونه توكيدًا مضاعفًا له بعد حجاجي أعمق، وأنجع في توجيه المتلقي إلى النتيجة المرجوة. ويستعمل في حال إنكار المتلقي للخبر، ويكون ذا قيمة حجاجية عالية، فالغاية من وروده تكون لتمكين الكلام وتقريره في ذهن المتلقي واقناعه بالقضية الواردة في الخطاب المطروح.[65] ومن نماذجه:

أ)القصر بـ (النفي والاستثناء):

يُعَدُّ القصر بـ (النفي والاستثناء) من أبلغ طرق التوكيد؛ إذ ينفي الحكم على الإطلاق ثم يخصص به من يقصر عليه، وحصره بصاحبه من دون سواه،[66] والتوكيد سمة أساسية في أسلوب القصر، والقصر يحصر فعالية الحجاج في وجهة حجاجية واحدة، ليضفي على الكلام قوة حجاجية، ويكسب الجملة بعدًا حجاجيًّا أعمق وأنجع في التوجيه نحو النتيجة المقصودة، ومثالها في الحكمة(210):

"ما أحْبَبتَ شَيئاً إلا كُنْتَ لَهُ عَبداً، وَهُوَ لا يُحِب أنْ تَكونَ لِغَيْرِهِ عَبداً"

لقد جاء المحصور جملة فعلية (ما أحْبَبتَ شَيئًا) مكتملة الأركان، وجاء المحصور عليه جملة اسمية منسوخة (كُنْتَ لَهُ عَبدًا)، وقصد ابن عطاء بهذا التركيب تأكيد أن علاقة الحب التي تربط الإنسان بأي مخلوق من المخلوقات، تخرجه عن العبودية الحقيقية لله تعالى؛ لهذا قصر علاقة مركبة على علاقة أخرى. فجاء الحصر في هذا التركيب الحجاجي يؤكد حقيقة واقعة في تركيبة الإنسان وهو التعلق بكل شيء محبب إلى النفس والخضوع له، وهذه النتيجة

يجب ألَّا تكون إلا في علاقة العبد بربه، ويؤكد هذا الحجة التعليلية بواسطة الرابط (واو الحال) (وَهُوَ لا يُحِب أنْ تَكونَ لِغَيْرِهِ عَبدًا).

ب)القصر بـ (إنما):

تُعَدُّ (إِنَّمَا) أم طرق القصر بعبارة النحاة القدماء وهي متمحضة له وحكر علية، يقول الجرجاني: اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره، فإذا قلت: (إنّما جاءني زيد)، عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: (جاءني زيد لا عمرو)"، [67] ولو أُخْضِعَتْ هذه الجلمة لمقولة التوجيه الحجاجي عند ديكرو لتَبَيَّنَ أن (إِنَّمَا) قد منحت الجملة بعدًا حجاجيًا واضحًا بإدخالها على الجملة النواة؛ إذ وجهت الدلالة نحو نتيجة محددة ضيِّقة فحواها أن الجائي ليس إلا زيد وهذه النتيجة التي يروم الباث إيصالها للمتقبل، حتى لا يتوهم أن الجائي غيره.[68]

ومثالها قوله في الحكمة(94):

"إِنَّما يُؤلِمُكَ المَنْعُ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عَنِ اللهِ فيهِ"

فقد وظف ابن عطاء (إِنَّمَا) هنا ليؤكد حقيقة مهمة في حياة السالك/ المريد التعبدية، فحواها أن الحزن وما يصاحبه من مرارة المنع في الحياة، ليس إلا نتيجة حتمية لجهل السالك/ المريد وعدم فهمه الحكمة من ذلك، وقلة معرفته بما قد يترتب على ذلك من الجزاء والثواب. فجعل عدم الفهم هو سبب الألم والحزن وليس غيره؛ إذ لو علم العبد أن الله ﷻ ألطف به من نفسه، لسلم الأمر كله، ورضي عن كل قضاء يقضيه الله تعالى له.

2)الحجاج بعامل (النفي):

يُعَدُّ النفي من العوامل الحجاجية التي يستعملها المتكلم في تحقيق وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ نحو النتيجة المقصودة، وقد حصر علماء العربية بعض الأدوات المُتَمَحِّضَة للنفي منها (لا، لن، لم، ما، ولما، وإن...) وهي ما يصدق عليه قول أنسكومبر "يوجد في اللغة صرافم، عوامل حجاجية تشد الملفوظ وتبدل توجُّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته"، [69] والنفي في عرف المناطقة " هو العامل الذي يُحَوِّلُ القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة والخاطئة إلى صحيحة وهو عامل أحادي"، [70] وهذا المعنى هو ما تحدث عنه النحاة القدماء، إذ يقولون: "اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذابٌ له، فينبغي أن يكون على وَفق لفظه لا فرقَ بينهما، إلا أن أحدهما نفيٌ، والآخر إيجابٌ"، [71] ففي (الإكذاب) توجيه للملفوظ وللمتلقي نحو النتيجة التي يجب أن يصدق بها قصرًا.

وقد شكل النفي سمة دلالية مميزة لبنية الحكم العطائية، من خلال الدلالة التي أراد ابن عطاء توجيه المتلقي إليها وتنبيهه عليها، حتي يستقيم أمره في رحلة سيره إلى الله تعالى، حيث ورد النفي في بنية الحكم العطائية في أغلب المواضع؛ لتقرير حقيقة عامة بطريقة السلب، ومثالها قوله في الحكمة(212):

"لا يَزيدُ في عِزِّهِ إقْبالُ مَنْ أَقْبلَ. ولا يَنْقُصُ مِنْ عِزِّهِ إدْبارُ مَنْ أدْبرَ".

فقد أفاد(لا) في هذه الحكمة نفي أمرين: **أحدهما** زيادة عز الله تعالى بإقبال العباد عليه وهذه حقيقة معلومة بالفطرة فهو العزيز ومنه يستمد العز. **الآخر:** عدم نقصان عزه جَلَّ في علاه بإدبار الخلق عنه، وهي حقيقة معلومة كذلك، فترتب على ذلك تقرير حقيقتين في غاية الأهمية في المسار التعبدي، ينبغي على السالك/ المريد أن يتنبه إليهما، وفحواهما أن الله تعالى لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصي، ويترتب على هذا أنك أيها الإنسان أنت المحتاج للطاعات، وأنت من تخسر في المعاصي، ومن فضل الله تعالى عليك أن فتح لك باب الطاعات لتكسب وتعتز

بقربك منه، وفتح لك باب التوبة ليغفر لك المعاصي والذنوب فكانت النتيجة في الحالين لك، فضلا عن التقابل الدلالي بين شطري الحكمة وما أضفاه على النص من بعد حجاجي أكثر تأثيراً في المتلقي وجذباً نحو المحمول القضوي لهذه البنية الإيقاعية المتناغمة.

3)الحجاج بعامل (الشرط):

يُعَدُّ الشرط من الأساليب اللغوية التي تبنى بناء تلازميًا ما يؤهله ليكون آلية استدلالية تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي؛ إذ يسهم في خلق علاقة دلالية تربط بين تركيبين لغويين يكون حصول أحدهما سبباً في الآخر أو نتيجة عنه، وقد شكلت الجملة الشرطية سمة صوتية وتركيبية ودلالية حجاجية مهمةً في بنية الحكم العطائية، فضلا عن القيمة الإيقاعية التي أضفتها على بنية النص، كما مثلت التراكيب الشرطية استراتيجية حجاجية مهمة في الاستدلال المنطقي الذي وظّفه ابن عطاء في تقرير الكثير من الحقائق التعبدية التي سعى من خلالها إلى توجيه السلوك التعبدي لدى السالك/ المريد. وقد جاء مشكلاً بذلك سمة حجاجية مؤثرة، ومثالها قوله في الحكمة(84):

"مَتى فَتَحَ لَكَ باب الفَهْمِ في المَنْعِ عادَ المَنْعُ عَيْنَ العَطاءِ"

فقد بنى ابن عطاء هذه الحكمة بناء استدلاليًا معتمدًا في ذلك على أسلوب الشرط، إذ جعل الفهم والعلم بالحكمة من المنع والابتلاء سببًا في تحول المنع إلى عطاء كثير.

ولعل المتأمل يجد الغاية التي أرادها ابن عطاء في هذه الحكمة هي غاية تعليمية وتوجيهية، فحواها أمر السالك/ المريد بطلب العلم والمعرفة عن الله تعالى؛ كون ذلك سببا في اكتمال الإيمان عند العبد، وهو ما يدفعه إلى التسليم والرضا بقدر الله تعالى واستشعار الأجر، بل قد يدفعه إيمانه إلى الاستمتاع بكل ما يلاقيه خيرًا أوشرًا.

وهكذا يبدو القصد الحجاجي واضحًا في استعمال البنية الشرطية؛ لما تمتلكه من مقدرة في مخاطبة العقل فضلاً عن ذلك أنّ الجملة الشرطية بالرغم من كونها جملة خبرية فإنّها تحمل في طياتها أوامر تعدّ فيها الجمل إنشائية أو تؤول بالإنشاء، لا سيما في سياق العملية التواصلية في الخطاب الحكمي الصوفي.

4)الحجاج بعامل (ربما):

تتكون الأداة (ربّما) من (ربَّ) وهو حرف جر-خلافًا للكوفيين فِي دَعْوَى اسميته- للتكثير كثيرا وللتقليل قَلِيلا، و(ما) الكافة التي تكفه عن العمل، يقول ابن هشام: "وَإِذا زيدت (مَا) بعْدهَا فالغالب أَن تكفها عَن الْعَمَل وَأَن تهيئها للدخول على الْجمل الفعلية"،[72] كما يذكر لها سِتّ عشرَة لُغَة.[73] وَتُعَدُّ هذه الأداة من العوامل الحجاجية التي يوظفها المتكلم بهدف توجيه المتلقي نحو نتيجة محددة، وفهم معين، وفي إطار الاستعمال الحجاجي يبقى السياق هو الفيصل في قضية الدلالة على التقليل أو التكثير؛ حيث استعملها ابن عطاء في بيان الكثير من الحقائق التعبدية، وقد جاءت في الغالب لتفسير القضايا التي يتوهم الناس عكسها، ومثالها قوله في الحكمة(83):

"رُبَّما أَعْطاكَ فمَنَعَكَ ورُبما مَنَعَكَ فأَعْطاكَ"

يوظف ابن عطاء (ربما) في هذه الحكمة لبيان حقيقتين، لهما أثرهما على عقيدة السالك/ المريد، وتعلقه بربه، أولهما: أن العبد يجب أن يصرف كلاً من طمعه وخوفه إلى الله تعالى، فيعلم علم اليقين أن رغد عيشه ومقومات سروره وسعادته، كلها من عند الله تعالى، وأن منغصات عيشه وعوامل كربه وضيقه كذلك كلها من عند الله تعالى. أما الحقيقة الثانية: أن العبد يجب أن يستيقن أن الله تعالى لا يحتاج في إسعاده إلى واسطة منع أو عطاء، وكذلك في تعكير صفوه وتكدير حياته؛ لِأَنَّهُ إذا تحلَّى العبد بذلك اليقين - وهو ما ترمي إليه هذه الحكمة- فلا العطاء عندئذٍ يؤمّله وينعشه، ولا المنع يخيفه أو يكدّره.[74]

فالغرض من هذه الحكمة الذي أراد ابن عطاء أن يغرسه في نفس السالك/ المريد، هو الرضا في الحالين؛ لانّهُ خيرٌ له، فالله تعالى لا يقضي له بشيء الا كان فيه خيره وصلاحه وإن خفي عليه لعلمه القاصر، ولجهله بما ينفعه؛ فأفادت(ربما) توجيه فهم السالك نحو نتيجة محددة، وهي أن ما تراه من أقدار قد تكون على خلاف ما تتصوّره، والحكمة يعلمها الله تعالى فقط، فاقنع بقضائه وقدره وسلم له الأمر.

رابعًا: وسائل التصوير البلاغي:

تمثل البلاغة أهم أقطاب الخطاب الحجاجي، وتتجلى أهميتها فيما توفره للخطاب من وسائل جمالية، تعمل على تحريك وجدان المتلقي والتأثير فيه، ولا سيما إذا توافرت تلك الوسائل الجمالية على حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، عندئذٍ يكون بإمكان المتكلم بلوغ غايته من الخطاب وتحقيق هدفه في توجيه المتلقي نحو فكرة ما، وسلوك معين؛ لهذا جمع القدماء "في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية".[75]

وإذا كان الهدف من هذه المكونات الوجدانية والجمالية في أغلب النصوص الأدبية هو الغاية الجمالية الإمتاعية فحسب، فإنَّهَا في النصوص الشرعية والتعليمية تتجاوز تلك الغاية الجمالية إلى غايات أخرى يقتضيها السياق وتفرضها خصوصية النص البنائية، ولما كانت الحكم العطائية نصوصاً وعظية وتعليمية تهدف إلى توجيه السالك/ المريد، نحو سلوك معين مع إقامة الحجة وتقديم الدليل الذي يؤكد أو يفسر ذلك التوجيه في الحكمة المحددة، تضمن النص بعدًا حجاجيًا، ولكي يكتسب النص ذلك البعد الحجاجي ويقوي طرحه كان لابد له من الاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس،[76] ولا سيما وهذه "الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية(كما هو مطلوب في سياق البلاغة)؛ بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج)، ومن هنا يَتَبَيَّنُ أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية".[77]

وتتجلي آليات الحجاج البلاغية في الحكم العطائية من خلال الاستعمال المجازي والفني للغة، ذلك الاستعمال الذي يمثلُ "عدولاً عن الدلالة المباشرة والمعيارية باتجاه ما يصنع لغة فنية لا علمية، أو عادية، أو اصطلاحية"،[78] بل ينتهج مسلكًا خاصًا في اختيار آليات إنتاج الدلالة وتوظيفها على نحو محكم، فيجعلها قادرة على تحقيق الإبداع في النص، تحقيقاً جمالياً مؤثراً يجذب القارئ ويعكس ما يدور في حنايا الذات المبدعة.

ويعرف التصوير بأَنَّهُ نشاط خلاق وقدرة إبداعية في الصياغة والتعبير، "تمنح المعنى المجرد شكلاً حسيًا، يمكن حواس الإنسان الظاهرة والخفية من التفاعل معها، تفاعلاً إيجابيًا عن طريق تلق مفتوح، يتجدد باستمرار، كما تنص على ذلك المناهج الحديثة كالأسلوبية والسيمولوجيا وجماليات التلقي".[79]

ولما كان ميدان التصوير هو المحسوس، فإن الصورة لا تقوم بالتمثيل الحسي وحده، وإنما تتجاوز الوقوف عند التشابه الحسي بين الأشياء، لتجعل التصوير أكثر ارتباطاً بالشعور،[80] بمعنى أن روعة التصوير تكمن في قدرته على إثارة الحواس المختلفة، ثم يلتقطها الخيال، فيترجمها دلالات فكرية وعندها يصبح التصوير بحسب عز الدين اسماعيل "تركيبة عقلية تنتمي إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع".[81]

وهي فضلاً عن ما تمتاز به من التأثير الوجداني المتمثل في التخييل وما ينتج عنه من إمتاع، تتمتع بالتكثيف

الدلالي للمفهوم الذي تريد توصيله، فالبحث فيها "يعني إضافة معانٍ أصلية وثانوية لا يستهان بها، فهي تسهم في المضمون، فالجمال اكتشاف فكر جديد، كما أن التأويل الذي يتمخض عن البحث الفني، ومتابعة العبارة بعمق، يعني خدمة النص، وزيادة في توصيله وأدائه، وهذه الإضافات قائمة على التوقع والاحتمال واتساع الدلالة".[82]

ولما كانت الوظيفة الأساسية للحكم إقناعية حجاجية، غايتها التربية والتعليم والتأثير في المتلقي للتغير من سلوكه وأفكاره، فقد كان التصوير من أبرز آليات إنتاج الدلالة في بنية الحكم العطائية، وتقديم المفهوم بطريقة أكثر وضوحًا وتأثيرًا في المتلقي؛ ذلك لأن المفهوم إذا كان "مما يمكن أن يحصل من الكلام الوارد على الحقيقة في قالب شرط أو حصر أو استثناء أو غاية كما يرى الأصوليون، فإن حصوله من الكلام الوارد في صورة مجازية أوكد وأوضح خاصة إذا كانت تلك الصورة مأخوذة من عالم خطاب المتلقين، ومألوفة لديهم".[83] ويتجلى التصوير الفني الذي تنبني أو تقوم عليه الحجة في الحكم العطائية من خلال الوسائل الآتية:

1)الاستعارة:

تُعَدُّ الاستعارة من أعظم أدوات التصوير البلاغي جمالاً، وتأثيرًا في المتلقي؛ كونها تمثل مستوى أبعد في التخيل؛ إذ تجعل المتلقي يحس بالمعنى أكمل إحساس، فضلًا عن أنها تصور الأحداث للعين، وتنقل الصوت للأذن؛ فتثير شتى عواطف النفس، وانفعالاتها، وتجعل المعنوي محسوساً، ثم "تعطينا الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر"؛[84] الأمر الذي جعل الاستعارة مركز الحجاج وأهم آلياته البلاغية؛ لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى الذهن، فالعلاقة الاستعارية هي أدلُّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج.[85]

وتأتي أهمية الاستعارة في كونها أبلغ صور المجاز في تقرير الحقائق وإثباتها، إذ أجمع "البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل على سبيل التشبيه"،[86] وهذه القيمة الإبلاغية التي يؤكدها المجازي بشكل عام. والاستعارة بصورة خاصة تُعَدُّ مناط التأثير ومكمن اللذة في التصوير الاستعاري، إذ يتولد عن المجازية مفارقة دلالية، تثير لدى المتلقي شعورًا بالدهشة والطرافة، وبموجب هذه المفارقة تحدث المفاجأة وكسر أفق التوقع، في دلالة الكلمات، إذ يصبح للتركيب اللغوي بنيتان سطحية وعميقة، فيكون النظر في البنية العميقة هو الذي يؤدي إلى القول بالاستعارة، لأن الغياب التقديري لا يلغي أبدًا كون هذا الغائب محلقاً في الفضاء، يعملُ على التذكير به لتحقيق الشكل الاستعاري.[87]

ويعتمد البلاغيون عنصر (المفاجأة) قيمة جوهرية للاستعارة، وتؤسس هذه القيمة لكسر المألوف، ومجاوزة النسق التشبيهي بعلاقات جديدة، تأخذ الاستعارة إلى وضعها بين سياقين ودلالتين: سياق قديم يحمل المعنى المعجمي للفظ، وسياق جديد يمنح الصورة قيمتها؛ ويصبح مفتاح الصورة الاستعارية؛ مما جعل الاستعارة ضماداً بين سياقين،[88] يعايشهما المتلقي ويجري مع تقلباتهما المعنوية؛ بمعنى أن الاستعارة انحراف عن مهمة اللغة الحرفية، فالمتكلم في الاستعارة، لا يعني ما يقوله حرفيًّا، بل يعني شيئًا أكثر منه.[89]

وقد قسمت الاستعارة عند أكثر النقاد واللغويين، القدامى منهم والمحدثين إلى عدة أقسام، فعبد القاهر الجرجاني يقسمها إلى مفيدة وغير مفيدة، فالمفيدة تؤدي دورا أساسيًا في البناء الشعري، ولولاها لم يحصل لك ما

تريد تصويره، أما الاستعارة غير المفيدة، فهي لا تعدو أن تكون تلاعبا بالألفاظ،[90] وثمة من يقسم الاستعارة إلى استعارة لغوية واستعارة جمالية، فاللغوية هي تمثل الاستعارة الحجاجية؛ "لأنَّ الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية"،[91] أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية "فَإِنَّهَا تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا إذن هو سياق الزخرف اللفظي، والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب".[92]

وتتجلّى الدلالة المنطقية للاستعارة في كونها "إبدال قد يحصل به اختصار وإيجاز، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له، والأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس؛ لِأَنَّ الاستعارة من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس إلا أنه قياس مختزل وبعبارة أدق قياس إضماري أي قياس حذفت مقدمتاه، وأكتفي بالنتيجة".[93]

ومن هنا جاءت أهمية الاستعارة بوصفها آلية حجاجية يحرص المتكلم على استعمالها؛ لأنها أبلغ من الحقيقة حجاجيًا، وهو ما أهَّلها لتصنف ضمن أدوات السُّلَم الحجاجي؛ كونها تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي،[94] وهذا الأداء الحجاجي هو ما يسعى ابن عطاء الله إلى توظيفه في حكمه. لذلك كان للاستعارة حضورها الفاعل في بنية الحكم العطائية فمثلت أبرز وسائل الحجاج البلاغية، وهو ما يعكس قدرات ابن عطاء الله اللغوية والفلسفية، ومدى قدرته على التعبير عن المعنوي بالمحسوس، ومن أمثلتها قوله في الحكمة(206):

"فَرِّغْ قَلْبكَ مِنَ الأَغْيارِ تَمْلأهُ بالمَعارِفِ والأسْرارِ"

يوجه ابن عطاء في هذه الحكمة السالك/ المريد إلى ترك الدنيا وملذاتها وعدم التعلق بها، وتفريغ قلبه مما سوى الله تعالى، حتى يحصل على القرب من الله تعالى، ويفتح عليه أبواب العلوم والمعارف والأسرار وينير له بصيرته التي يستطيع بها معرفة كل شيء؛ لِأَنَّ البصيرة القلبية شأنها شأن البصر، فكما أن الإنسان لا يستطيع أن يرى به الأشياء التي أمامه على حقيقتها وشكلها إلا إذا استعان بنور خارجي كالشمس وما ينوب عنها، كذلك البصيرة القلبية لا تستطيع أن تدرك شيئًا من مجاهيل الكون وأسراره الغيبية التي لا تخضع لدلائل الحس إلا إن استعانت بنور خارجي متكافئ، وهو الوحي الرباني الخاص بالأنبياء والرسل والإلهامات العلوية التي يكرم الله بها أصحاب القلوب الصافية عن الشوائب الفارغة من محبة الأغيار.[95]

فقد عمد ابن عطاء في هذه الحكمة إلى توظيف فعل الأمر (فَرِّغْ) بأسلوب استعاري؛ إذ ترتبط الاستعارة عند جون سيرل بمعنى المتكلم وليس بمعنى الملفوظ، فالمعنى الاستعاري للملفوظ ما يعود إلى قصد المتكلم،[96] فبنى فعله القولي بهذه الاستعارة لهدف تواصلي هو التأثير في المتلقي مستثمرًا القوة الإنجازية لفعل الأمر، فهو في سياق توجيه ونصح وتربية للنفس، فاتخذ من الجمالية وسيلة للتأثير وتحقيق الإقناع، معتمدًا على الاستعارة المكنية؛ حيث شبه القلب بالكأس ثم حذف المشبه به وجاء بلازمه وهو فعل(الملأ)، مجسدا للمعنوي بصورة حسية أكثر تأثيرًا، وأقرب إلى واقع المتلقي، فضلا عن بناء الحكمة بناء قياسيًا متدرجًا في الحجة المعتمدة على قانون السببية؛ حيث جعل تفريغ القلب سببًا لحصول المعارف والأسرار.

2)التشبيه:

تمثل الصورة التشبيهية عمدة الصور البيانية والبلاغية في الإبداع الأدبي، نظرًا لوفرتها ودورها في التقريب بين

المتباعدات أو الجمع بين المختلفات، بما يجعلها مظهر احتفاء بالواقع وبعلاقات الواقع، وَتُعَدُّ الطبيعة وعناصرها المادية والواقع المحسوس بأبعاده، هي المادة الحية التي تقوم عليها الصورة التشبيهية للتعبير عن الجوانب الفكرية والكشف عن العمق النفسي، المتصل بالمواقف الانفعالية للمبدع بلغة تصويرية أكثر دقة في الرسم وأعمق جمالاً في التأثير، وإذا كانت تعريفات القدماء لهذا الفن البلاغي تلتقي في معظمها حول حقيقة واحدة، فحواها أنه إشراك أمر لأمر في معنى أو أنه إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بأداة لتحقيق معنى؛ فإن الوضوح كان الغاية المثلى له،[97] إلا أن التشبيه لم يكن في عرفهم "أداة من أدوات رسم الصورة الشعرية، بل كان أداة من أدوات تقريب المعنى وإيضاحه".[98]

وإذا كان القدامى قد انصب اهتمامهم على سمة التجسيم البصري فيه، بحيث ترى فيه المعاني المجردة، أجسامًا مرئية، تقاس بالحواس، فإنه في البلاغة الحديثة يمثل آلية مهمة من آليات الاستعمال الحجاجي، إذ إن إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الأشياء يعدّ من القيم الحجاجية التي تحققها الصورة التشبيهية وتعلي بموجبها من قيمة الخطاب بلاغة وتأثيرًا.

وتبرز القيمة الدلالية في التصوير التشبيهي في (وجه الشبه) بوصه القيمة الجوهرية في علاقات التشابه بين الأشياء، إذ يمثل التصور والإدراك الذهني لطرفي المشابهة،[99] أي أَنَّهُ المنتج الدلالي في الصورة التشبيهية، وتتجلى القيمة الحجاجية للتشبيه في كون طرفيه يؤديان دوري المقيس والمقيس عليه، أو المقارنة، إذ يشتركان في صفة واحدة على الأقل تكون في المشبه به أصلية وقوية، وفي المشبه غير أصلية وأضعف من المشبه به، فتؤدي دور الدليل الذي يمنح التصوير التشبيهي دوره الحجاجي.

وقد مثل التشبيه آلية مهمة من آليات إنتاج الدلالة وبناء الحجاج في بنية الحكم العطائية، وجاء في معظم هذه المواضع يهدف إلى إبراز المعنوي في صورة محسوسة، ليجلّيها للذهن ويُجسِّد بها المعاني التعبدية التي يسعى دائماً إلى تقديمها للسالك، ومثالها قوله في الحكمة(154):

"ربما وقفت القلوب مع الأنوار، كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار"،[100]

ومعنى هذه الحكمة أن الهبات الربانية التي يمن الله تعالى بها على العبد قد تكون عقبة تحجب القلب عن الله تعالى، كما أن ملذات الدينا وشهواتها تحجب النفس عن الله تعالى.[101]

فجاء تركيب الصورة من المشبه، وهو احتجاب العبد عن الله بالأنوار الربانية. والمشبه به. وهو احتجاب النفوس بكثائف الأغيار، وأما وجه الشبه بينهما، أنهما يشكلان حجابًا يحجب السالك عن الله تعالى وأنهما يصبحان متعة لهوى النفس.

وتتجلى البنية الحجاجية لهذه الحكمة في التحذير والتنبيه الذي قصد إليه ابن عطاء الله في هذه الصورة، إذ تتحول هذه الأنوار إلى غاية في ذاتها، بدلاً من أن تكون وسيلة إلى غاية أكبر، وهي الوصول إلى رضوان الله. ومن هنا تتحول هذه المقامات، والعلوم، والمعارف إلى حجاب من الحجب يمنع السالك من الوصول، بدلاً من أن تكون زاداً يساعده على الوصول. والتعبير بـ (الأنوار) هنا مما يناسب الصورة التشبيهية تمام المناسبة، إذ جرت العادة أن يشبه الهدى والعلم والصلاح بـ (النور)، وأن يشبه الضلال، والجهل، والفساد بـ (الظلمات)، وذلك ما جرى عليه التصوير القرآني في مواضع كثيرة.[102]

نلاحظ في الصورة التشبيهية في الغالب أَنَّهَا تقع في إطار السياق الصوفي، فتستمد أبعادها ومكوناتها من الأشياء المادية الموجودة في الطبيعة، التي لها صلة بالسياق العام للخطاب الصوفي ما يجعلها مستغلقة في أغلب الأحيان ولا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى معجم الصوفية وتفسير

مفرداتها، ولعل ذلك راجع إلى مقصدية إنتاجها فهي خطاب موجه لطائفة محددة من الناس، لهم المجال التخاطبي نفسه الذي يعيشه منتجها، وهذا قد يكلف المتلقي العام- غير المهتم بالخطاب الصوفي ومحيطه الثقافي- عناءً كبيرًا في فهمها وتأويلها؛ لِأَنَّ الهدف الأساسي منها هو بيان حال المشبه للمتلقي وبيان إمكان إلحاقه بالمشبه به في إطار المعرفة الصوفية، كون التشبيه في الحقيقة هو دعوى تحتاج إلى دليل أو برهان، فيكون المشبه به هو الدليل، مما ينتج عنه استمالة المتلقي وإقناعه بهذه الدعوى في إطار البيئة التخاطبية.

3) التمثيل:

يُعَدُّ التمثيل نوعًا من أنواع التشبيه إلا أنه أدق من ناحية البلاغة، وأعلى في المنزلة؛ "لأن التمثيل تشبيه إلا أَنَّهُ تشبيه خاصّ، فكلّ تمثيل تشبيه، وليس كلّ تشبيه تمثيلا"، (103) وذلك أن وجه الشبه فيه هيئة مركبة منتزعة من متعدد، بمعنى أَنَّهُ "عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه"، (104) يقول الجرجاني: "اعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها... وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها، ودعا القلوب إليها... وإن كان حجابا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر...وإن كان وعظا، كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزّجر". (105)

وعلى هذا يكون - حسب برلمان- عاملاً مهمًا في العملية الحجاجية؛ إذ "يلعب دورًا في الابتكار والتدليل والحجاج، عبر عمليات التطوير والتمديد التي يسمح بها"؛ (106) ومن هنا كان التشبيه التمثيلي بما يمتلكه من مقومات أكثر بلاغة، وأعمق أثرًا في النفس، وأجلى للصورة، وأدق في الإيضاح، وأقوى في إثبات المعنى وترسيخه في الذهن.

ولأهمية التمثيل في تجسيد الحقائق وبيانها بطريقة حجاجية أكثر فاعليةً وتأثيرًا في المتلقي، اعتمده ابن عطاء الله آلية حجاجية لبيان الكثير من الحقائق التي ينبغي للسالك/ المريد أن يكون على دراية بها، ومتنبِّهاً لها حتى تستقيم حياته في رحلة سيره إلى الله تعالى، ومثال ذلك قوله في الحكمة(42):

"لا تَرْحَلْ مِنْ كَوْنٍ إلى كَوْنٍ فتَكونَ كَحِمارِ الرَّحى، يَسيرُ والمَكانُ الَّذي ارْتَحَلَ إلَيْهِ هُوَ الَّذي ارْتَحَلَ عَنْهُ. ولكِنِ ارْحَلْ مِنَ الأَكْوان إلى المُكَوِّنِ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (107) وانْظُرْ إلى قَوْلِهِ ﷺ "فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسولِهِ فهِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسولِهِ، ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصيبها أو امْرأةٍ يَتَزَوَّجُها فهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ". فافْهَمْ قَوْلَهُ ﷺ وتَأمَّلْ هذا الأَمْرَ إنْ كُنْتَ ذا فَهْمٍ .. والسَّلامُ"، (108)

ويقصد ابن عطاء الله في هذه الحكمة تحذير السالك/ المريد من العمل في هذه الدنيا على غير إخلاص في التوجه إلى الله عز وجل، كمن يعمل ليراه الناس، أو لأجل طلب المنزلة عندهم، أو يزهد في الدنيا ليعرف بذلك...؛ لأنَّ ذلك كله رحلة بين حظوظ النفس، ولم يرحل إلى الله، وإنما رحل لحظ آخر من حظوظ النفس، فرحيله بذلك من كون إلى كون، وعودته إلى المكان الذي بدأ منه، ومن هنا مثل له بحمار الرحى الذي يسير باستمرار وهو في موضعه الذي ارتحل منه. فجاءت الصورة مركبة من هيئتين حاصلتين الأولى معنوية والأخرى حسية مدركة، هما:

- الأولى: المشبه وهو سعي العبد في الدين وراء حظوظ النفس من شهوة إلى أخرى (من كون إلى كون) ولم يخرج من هذه الدائرة إلى ما وراءها، حيث الهدف الحقيقي الذي خلق من أجله وهو السعي إلى الله وطلب مرضاته، وهي قضايا معنوية.

- والثاني: المشبه به، هو حمار الرحى (أي الطاحون) الذي يمشي دائبًا في حركة دائرية ضمن مساحة مغلقة، يسير والمكان الذي ارتحل منه سرعان ما يعود إليه، يكرر ذلك المرة تلو المرة.

- ووجه الشبه هنا هي الهيئة الحاصلة من الحركة الدائرية دون جدوى أو فائدة، يمكن تجسيد ذلك من خلال الشكل الآتي:

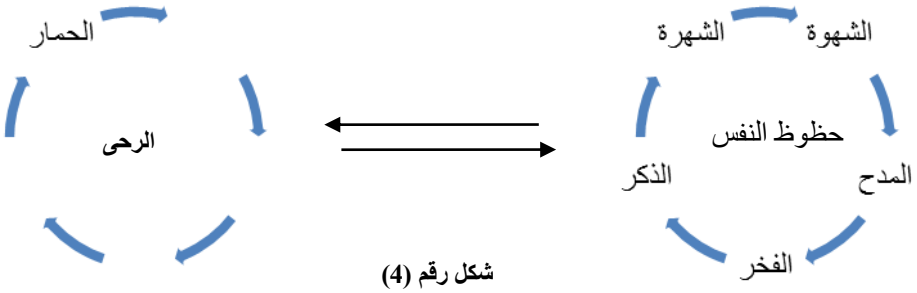

شكل رقم (4)

ويلاحظ من خلال الشكل السابق عدة أمور، هي:

- (ن) النتيجة الواردة هي أن العمل لا ينفع العبد ما لم يكن يقصد به وجه الله تعالى ويُسَخِّرُ كلَّ أشياء الكون لتلك الغاية.

- الحجج الواردة في الحكمة، هي:

- ح1: الصورة التمثيلية التي جسَّدت السعي بين ملذات الدنيا بدافع الرغبات بحركة حمار الرحى الذي يسير في دائرة مغلقة.

- ح2: الحديث الذي اقتبسه ابن عطاء من السنة النبوية من كان هجرت إلى الله ورسوله... ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، وهو حديث معروف في كتب الفقه بأنه نصف الدين؛ كونه يجسد أهمية الإخلاص في قبول العبادات.

- ح3: استعمل الحمار لتشبيه حالة الإنسان الذي يحمل الهدى ولم يفد منه، وهو اقتباس من التصوير القرآني في سورة الجمعة الذي صور بني إسرائيل بالحمار، إذ يحمل أسفارًا ولم يفد منها، وهو بهذا يعكس لنا المنبع الذي يستقي منه ابن عطاء الله عناصر الصورة؛ إذ تتركز كلها في إطار بيئة القرآن والفقه ولم يخرج عنهما في أغلب صوره، كما أن التشبيه بالحمار هنا دليل على البلادة، وقلة الفهم، والتمثيل به مع إضافته إلى الرحى (حمار الرحى) مبالغة في تقبيح حال العاملين لأجل رؤية الناس، أو لحظ من حظوظ الدنيا الفانية.

خامسًا: الفنون البديعية:

يستعمل المرسل اشكالاً لغوية مختلفة، يكون لها دور في منح النص نغمًا إيقاعيًا، أو طاقة دلالية تعرف بالفنون البديعية، وينظر إليها بعض الباحثين على أنَّهَا تؤدي وظيفية شكلية فحسب، وهو ما يرفضه الواقع اللغوي؛ إذ إنَّ لها دورًا حجاجيًّاً، لا يقف عند مستوى الزخرفة الشكلية، بل يتعداه إلى الإقناع والبلوغ بالخطاب مبلغه الأبعد، حسب الدكتور طه عبد الرحمن، إذ يقول: "وإذ أدركنا أن الآليَّات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأن هذه الآليَّات الاحتجاجية هدفها الإفهام، تبيَّنا أن أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعاً للتحسين والبديع، وَإِنَّمَا هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ."(109)

فقد يعمد منتج النص في كثير من الأحيان إلى بناء خطابه بناءً تقابليًّاً يعرض من خلال الحقائق في تراكيب ثنائية، متوازية تركيبيًّاً، متضادة دلاليًّاً، فيكون توظيف المحسِّنات البديعية لتحقيق بعداً حجاجياً من خلال جذب انتباه المتلقي، ومنح النص مساحة أكبر من التلقي، فالمُحَسِّنُ البديعي يكون حجاجيًّاً " إذا كان استعماله، وهو

يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسِّن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي بوصفه محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع".(110)

وحقيقة الأمر أن القيمة الحجاجية التي يكتسبها المحسِّن البديعي تظل مرتبطة بخصوصية النص وسياقه العام من جهة، والأبعاد التواصلية والمقاصد التي يتوخَّاها المتكلم من استعماله لها من جهة أخرى، وقد مثل هذا البناء سمة أساسية في بنية الحكم العطائية، ومثاله في الحكمة(83):

"رُبَّما أَعْطاكَ فَمَنَعَكَ وَرُبَّما مَنَعَكَ فأَعْطاكَ"

فالمتأمل في هذا الأنموذج يجد أن المحسِّنات البديعية قد أسهمت في منح النص قيمة جمالية عالية تمثلت في التطابق بين لفظي (أعطاك× منعك)، والمقابلة بين شطري الحكمة الحاصل بين (أَعْطاكَ × فَمَنَعَكَ)، (مَنَعَكَ × فأَعْطاكَ)، فضلاً عن السجع والجناس ما نتج عنها من بنية إيقاعية نغمية، كان لها أثرها في إعطاء النص مساحة واسعة من التلقي والاهتمام.

هذا إشارة إلى أبرز الآليات الحجاجية التي اعتمدها ابن عطاء في حكمه بهدف توجيه السالك/ المريد نحو ما يصلحه في رحلة سيره إلى الله تعالى، كما كان للسياق العام للحكم وخصوصية النص الصوفي الأثر الأكبر في تحقيق البعد الحجاجي للنص، بما يمتلكه من مقومات حجاجية تقتضيها العملية التخاطبية في إطار الفكر الصوفي، ابتداءً بما للشيخ في البيئة الصوفية من مكانة، وما لكلامه من مؤثرات توسع مساحة التلقي في إطار المنحى الفكري الصوفي، غير أَنَّهُ قد يحدث شيءٌ من الغموض والإبهام للمتلقي العادي، إذ غالبًا ما يكون الخطاب الصوفي موجهاً نحو طائفة خاصة من المتلقين، فيبنى بناءً خاصًا يتناسب وظروفهم البيئية والثقافية؛ ما يفرض على المتلقي العادي البحث والتنقيب عن دلالات المصطلحات وسياقات استعمالها في بيئة الخطاب الصوفي.

أهم النتائج:

تَبَيَّنَ من خلال الدراسة والتحليل لبنية الحجاج في الحكم العطائية الآتي:

- أن الأصل في تركيب الحكم هو البناء الحجاجي؛ إذ يسعى ابن عطاء من خلالها إلى أن يوجه السالك/ المريد نحو القيام بسلوك تعبدي معين، وهذا يفترض نوعا من الحجج التي تؤكد صحة هذه الدعوى، وتسهم في تغير معتقدات السالك/ المريد وإقناعه بمضمون تلك الدعوى. كما هيأ ذلك لخلق جوٍ تحاوريٍّ يقوم على الاستدلال والبرهنة.

- أن البينة التخاطبية للحكم العطائية كانت بنية تحاورية - وإن كان حضور المتلقي تخيلاً - كما يبدو من موجهات الخطاب، ولا سيما هيمنة ضمير المخاطب على أغلب الحكم، نحو: منعك، أعطاك، أمرك، دعاك، نهاك...؛ حيث تشعر القارئ للنص أَنَّ المتلقي كان حاضرًا وقت إنتاجه.

- أن الحكم تقوم في جميع تراكيبها على تقديم موجهات سلوكية تسهم في رسم ملامح الطريق إلى الله تعالى فكان معظم الحجج التي تقوم عليها مأخوذة من القرآن والسنة، وقواعد الفقه.

- توسل ابن عطاء الله في حكمة بكل وسائل الإقناع والاحتجاج في سبيل بلوغ هدفه والتأثير في المتلقي (السالك/ المريد)، فسخر كل مقومات اللغة الحجاجية، وكان لوسائل التوكيد والتصوير النصيب الأوفر في الاستعمال، ولا سيما التصوير الاستعاري؛ فجاءت صوره دقيقة تتوافق فيها كل الجزئيات وتتلاحم لخدمة الغرض العام من السياق، كما تَبَيَّنَ أن صوره جاءت مقتبسة من التصوير القرآني والحديث النبوي من جهة، ومن صميم البيئة والواقع، التي يعيشها السالك/ المريد. من جهة أخرى كما تَبَيَّنَ أن التصوير عند ابن عطاء لم يكن

الهدف منه المتعة الفنية بقدر ما كانت تجسيدًا لبعض الحقائق بالمحسوس ؛ لتكون أبلغ في التأثير والتقريب.

- استعمل ابن عطاء كل الفنون البديعية بهدف منح النص بعدًا جماليًا وإيقاعيًا يخدم البنية الحجاجية، ويمنحها مساحات أوسع في التلقي والتأثير.

الهوامش:

(1) ينظر: جلوي، سارة بنت عبد المحسن، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الاسلام، دار المنار، جدة، 1411هـ-1991م، ط1، ص: 98.

(2) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م: 2/ 30 - 31.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط3: 2/ 226- 230، مادة (ح ج ج).

(4) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، 1430هـ، ط4، ص: 219.

(5) ينظر: سرحان، (الدكتور) هيثم، الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد (11)، محرم 1435هـ 2013م، ص: 77 -78. والشهري، (الدكتور) عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ط1، ص: 456.

(6) ينظر: طاليس، أرسطو، كتاب الخطابة، ترجمة/ إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1953م، ط2، ص: 22- 23.

(7) ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر(ت: 255هـ): البيان والتبيين، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ- 1998م، ط1: 7/ 76.

(8) ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان (ت: 335هـ)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق/ الدكتور حفني محمد شرف، مطابع الرسالة، القاهر – عابدين، 1969م، ط1، ص: 176.

(9) المرجع السابق، ص: 176- 177.

(10) الباجي، أبو الوليد (ت: 474هـ)، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ط3، ص: 8.

(11) الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، ص: 9.

(12) القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن (ت: 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ط3، ص: 62.

(13) المرجع السابق، ص: 63.

(14) المرجع السابق، ص: 63.

(15) عبد المجيد، (الدكتور) جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص: 126.

(16) ينظر: بقوقرة، (الدكتور) نعمان، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، العدد (407)، السنة (35)، 2005م، ص: 93.

(17) صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال (مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة - لبرلمان وتيتكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، طبعة كلية الآداب – منوبة – تونس – المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ص: 299.

(18) صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، 2007م، ط2، ص: 27.

(19) ولد الأمين، محمد سالم، مفهوم الحجاج عند (برلمان)، عالم الفكر، الكويت، المجلد (28)، العدد(3)، يناير/مارس، 2000، ص: 57.

(20) ينظر: صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج في القرآن، ص: 33.

(21) ينظر: المرجع السابق، ص: 34.

(22) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت: 456هـ) الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ 1983م، ط2: 1 / 39.

(23) بنعبو، (الدكتور) الحسن، المنحى الحجاجي للخطاب القرآني وآثره في منهج الاستدلال الأصولي، مجلة الإحياء، العدد (26)، ص: 132.

(24) ينظر: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 452.

(25) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، الحجاج واللغة، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 1426هـ2006م، ط1، ص: 14- 15.

(26) ينظر: عبد الرحمن، (الدكتور) طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م، ط1، ص: 213.

(27) ينظر: المرج السابق، ص: 226.

(28) ينظر: عبد الرحمن، (الدكتور) طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ط2، ص: 33 وما بعدها.

(29) ينظر: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 456.

(30) ينظر: عبد الرحمن، (الدكتور) طه، اللسان والميزان، ص: 226، والشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 456.

(31) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد(ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، درا نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2: 2/ 205.

(32) ينظر: عكاشة، (الدكتور) محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم)، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1435هـ 2014م، ص: 237.

(33) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر: 3/ 20- 29، والعبد، (الدكتور) محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة، القاهرة، 1426هـ 2005م، ط1، ص: 230 -232.

(34) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، 2010م، ط1، ص: 49.

(35) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ- 1998م، ط1، ص: 346.

(36) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 55.

(37) رشيد، (الدكتور) الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (34)، العدد (1)، يوليو- سبتمبر، 2005م، ص: 234.

(38) المرجع السابق، ص: 234.

(39) الرقبي، (الدكتور) رضوان، الاستدلال الحجاج التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (40)، العدد (2)، أكتوبر- سبتمبر، 2011م، ص: 102.

(40) العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، الرباط المغرب، العدد(4)، السنة الثانية 1411هـ- مايو1991م، ص: 79.

(41) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 55.

(42) ينظر: المرجع السابق، ص: 30.

(43) ينظر: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 478.

(44) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 30.

(45) ينظر: الناجح، (الدكتور) عزي الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس - تونس، 2011م، ط1، ص: 134.

(46) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 73- 77.

(47) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر(ت: 180هـ): الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م، ط2: 4/ 217.

(48) ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ط3: 4/ 354، الراجحي، (الدكتور) عبده، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ط2 ص: 299.

(49) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 30.

(50) ينظر: ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد(ت: 761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق/ عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، السلسلة التراثية (21)، 1421هـ - 2000م، ط6: 3/ 32- 33، والمرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي(ت: 749هـ) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق/ الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ 1992م، ص: 115- 116.

(51) يذكر له ابن فارس خمس دلالات، أقربها لهذا السياق، قوله: (الْأَجَلُ غَايَةُ الْوَقْتِ فِي مَحَلِّ الدَّيْنِ وَغَيْرِهِ... مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَعَلْتُ كَذَا، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَجَلْتُ الشَّيْءَ، أَيْ: جَنَيْتُهُ، فَمَعْنَاهُ [مِنْ] أَنْ أُجِلَ كَذَا فَعَلْتُ، أَيْ: مِنْ أَنْ جُنِيَ)، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: 1/ 64 -65.

(52) المراد **بآثاره**: مخلوقاته التي تشع عليها أنواره كالشمس والقمر. وأوصافه: أوصاف كماله، كرحمته وإحسانه، وحمته وعلمه، وقدرته.... والظواهر: كل ما يبدو للعيان من المكوّنات التي نعيش معها كالناس والدور.... والسرائر: الأرواح والعقول والأفئدة. ينظر: البوطي، (الدكتور) محمد سعيد رمضان، الحكم العطائية (شرح وتحليل)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1423هـ 2003م، ط1: 3/ 215- 220.

(52) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، المفصل في علم العربية، تحقيق/ الدكتور فخر صالح قدارة، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان- الاردن، 1425هـ 2004م، ط1، ص: 303.

(54) ينظر: الدريدي، (الدكتور) سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد- الاردن، 2011، ط2، ص: 347.

(55) المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص: 615- 6116.

(56) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 73.

(57) ينظر: المرجع السابق، ص: 29.

(58) ينظر: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 472.

(59) ينظر: الناجح، (الدكتور) عز الدين، العوامل الحجاجية، ص: 153.

(60) ينظر: الناجح، (الدكتور) عز الدين، العوامل الحجاجية، ص: 58. ورشيد، (الدكتور) الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، ص: 233.

(61) ينظر: الناجح، (الدكتور) عز الدين، العوامل الحجاجية، ص: 32.

(62) ينظر: صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج في القرآن، ص: 261.

(63) الرضي، محمد بن الحسن (ت: 686هـ): شرح الرضي على الكافية، تحقيق/ يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي، 1996م، ط2: 2/ 357 – 358.

(64) الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص: 206.

(65) ينظر: طلحة، محمود، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، جملة الخطاب، منشورات مخبر تحيل الخطاب، جامعة مولودي معمري- تيزي وزو، العدد (3)، مايو 2008م، ص: 115.

(66) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 221.

(67) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 219- 220.

(68) ينظر: الناجح، (الدكتور) عز الدين، العوامل الحجاجية، ص: 54 - 55.

(69) ينظر: المرجع السابق، ص: 47.

(70) ينظر: المرجع السابق، ص: 48.

(71) ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي(ت: 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له وصححه/ إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ 2001، ط1: 5/ 31.

(72) ابن هشام، مغني اللبيب: 2/ 333.

(73) المرجع السابق: 2/ 337.

(74) ينظر: البوطي، الحكم العطائية (شرح وتحليل): 3/ 33.

(75) ينظر: رورول، أوليفي، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة/ الدكتور محمد العمري، ص: 89.

(76) ينظر: الحباشة، (الدكتور) صابر، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م، ط1، ص: 50.

(77) الحباشة، (الدكتور) صابر، التداولية والحجاج، ص: 50.

(78) ينظر: بن زياد، (الدكتور) صالح بن غرام الله، البلاغة العربية من حيث هي موقف تلقٍ، المجلة العربية للعوم الإنسانية، الكويت، المجلد (23)، العدد (91)، صيف 2005م، ص: 49.

(79) المسدي، (الدكتور) عبد السلام، المتخيل الشعري عند أمل دنقل، مجلة نزوت، عمان، العدد (38)، أبريل 2004م، ص: 117.

(80) دهمان، (الدكتور) أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1986م ط1، ص: 275.

(81) إسماعيل، (الدكتور) عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993م، ط3، ص: 127.

(82) ياسوف، (الدكتور) أحمد زكريا، **الصورة الفنية في الحديث النبوي**، دار المكتبي، دمشق، 2006، ط2، ص: 24.

(83) صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج في القرآن، ص: 503.

(84) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: 471هـ) أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق/ الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ 2001م، ط1، ص: 40.

(85) ينظر: عبد الرحمن، (الدكتور) طه، اللسان والميزان، ص: 233.

(86) الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح في علوم البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 1420هـ 1999م: 3/ 167.

(87) ينظر: عبد المطلب، (الدكتور) محمد، ينظر البلاغة العربية (قراءة أخرى)، الشركة المصرية العالمية- لونجمان، القاهرة، 1997م، ط1، ص: 168.

(88) ينظر: الداية، (الدكتور) فايز، جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1411هـ 1990م، ط2، ص: 120.

(89) ينظر: العبد، (الدكتور) محمد سليمان، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1426هـ 2006م، ط2، ص: 25.

(90) ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 39 - 40.

(91) ينظر: العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 108.

(92) ينظر: المرجع السابق، ص: 109.

(93) ينظر: المصطفى، (الدكتور) شوقي، المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2005م، ص: 23.

(94) ينظر: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 494 - 495.

(95) ينظر: البوطي، الحكم العطائية (شرح وتحليل): 4/ 401.

(96) ينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة/ الدكتور صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، 2007م، ط1، ص: 68 - 69.

(97) ينظر: قاسم، (الدكتور) عدنان حسين، التصوير الشعري (رؤية نقدية لبلاغتنا العربية)، مكتبة الفلاح، الكويت، 1408هـ1988م، ط1، ص: 44.

(98) المرجع السابق، ص: 44.

(99) ينظر: عبد الجليل، (الدكتور) عبد القادر، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 1422هـ 2002م، ط1، ص: 407.

(100) المقصود بالأنوار: العلوم، والمعارف، والمقامات التي تنكشف للسائرين إلى الله في طريقهم، فيها استعارة حيث شبه العلوم المعارف بالأنوار بجامع الإضاءة والهداية، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. والمقصود: بكثائف الأغيار: ما ظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها، ويدخل فيها ما يلائمها من حب الجاه، والرياسة، وحب المدح، والتعظيم، وغير ذلك من شهواتها وعوائدها. ينظر: البوطي، الحكم العطائية(شرح وتحليل): 4/ 80 -85.

(101) ينظر: المرجع السابق: 4/ 80 -85.

(102) ينظر: صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج في القرآن، ص: 435 -436.

(103) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 73- 174.

(104) ينظر: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 497.

(105) المرجع السابق، ص: 85- 88.

(106) عشير، (الدكتور) عبد السلام، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، البيضاء- المغرب، 2006م، ص: 99- 101.

(107) سورة النجم، الآية: 42.

(108) المقصود: **بالكون**: كل ما عدا الله تعالى في هذا الوجود من مخلوقاته، والكون أو الأكوان هي وسائط وأسباب جعلها الله تعالى وسيلة للإنسان يستعملها في رحلته للوصول والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فهي وسيلة وليست غاية. **والمكوِّنُ**: هو الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومكوِّن الأكوان، وهو غاية الغايات ومنتهى الآمال التي يجب على العبد أن يقصدها ويسخر كل شيء في الوجود بهدف تحقيقها. ينظر: البوطي، الحكم العطائية: 2/ 144 - 145.

(109) نقلاً عن: الشهري، (الدكتور) عبد الهادي، استراتيجية الخطاب، ص: 498.

(110) ينظر: الحباشة، (الدكتور) صابر، التداولية والحجاج، ص: 51.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد(ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، درا نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2.
2. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: 456هـ) الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ 1983م، ط2.
3. ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط3.
4. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ- 1979م.
5. ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد(ت: 761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق/ عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، السلسلة التراثية (21)، 1421هـ -2000م، ط6.

6. ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان (ت: 335هـ)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق/ الدكتور حفني محمد شرف، مطابع الرسالة، القاهر- عابدين، 1969م، ط1.

7. ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي(ت: 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له وصححه/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ 2001، ط1.

8. إسماعيل، (الدكتور) عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993م، ط3.

9. الباجي، أبو الوليد (ت: 474هـ)، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ط3.

10. بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة/ الدكتور صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، 2007م، ط1.

11. البوطي، (الدكتور) محمد سعيد رمضان، الحكم العطائية (شرح وتحليل)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1423هـ 2003م، ط1.

12. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت: 255هـ): البيان والتبيين، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ- 1998م، ط7.

13. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: 471هـ) أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق/ الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ 2001م، ط1.

14. جلوي، سارة بنت عبد المحسن، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الاسلام، دار المنار، جدة، 1411هـ- 1991م، ط1.

15. الحباشة، (الدكتور) صابر، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م، ط1.

16. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة د.ت، ط3.

17. الداية، (الدكتور) فايز، جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1411هـ 1990م، ط2.

18. الدريدي، (الدكتور) سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد- الاردن، 2011، ط2.

19. دهمان، (الدكتور) أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1986م ط1.

20. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ- 1998م، ط1.

21. الراجحي، (الدكتور) عبده، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ط2.

22. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، 1430هـ- 2009م، ط4.

23. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، المفصل في علم العربية، تحقيق/ الدكتور فخر صالح قدارة، دار عمَّار للنشر والتوزيع، عمّان- الاردن، 1425هـ 2004م، ط1.

24. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر(ت: 180هـ): الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ- 1982م، ط2.

25. الشهري، (الدكتور) عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ط1.

26. الصعيدي، عبد المتعال، الإيضاح في علوم البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 1420هـ 1999م.

27. صولة، (الدكتور) عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، 2007م، ط2.

28. طاليس، أرسطو، كتاب الخطابة، ترجمة/ إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1953م، ط2.

29. عبد الجليل، (الدكتور) عبد القادر، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 1422هـ 2002م، ط1.

30. عبد الرحمن، (الدكتور) طه:

أ) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م، ط1.

ب) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ط2.

31. عبد المجيد، (الدكتور) جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

32. عبد المطلب، (الدكتور) محمد، ينظر البلاغة العربية (قراءة

أخرى)، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، 1997م، ط1.
33. العبد، (الدكتور) محمد سليمان، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1426هـ 2006م، ط2.
34. العبد، (الدكتور) محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة، القاهرة، 1426هـ 2005م، ط1.
35. العزاوي، (الدكتور) أبو بكر:
أ) الحجاج واللغة، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 1426هـ2006م، ط1.
ب) الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، 2010م، ط1.
36. عشير، (الدكتور) عبد السلام، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، البيضاء- المغرب، 2006م.
37. عكاشة، (الدكتور) محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم)، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1435هـ 2014م.
38. قاسم، (الدكتور) عدنان حسين، التصوير الشعري (رؤية نقدية لبلاغتنا العربية)، مكتبة الفلاح، الكويت، 1408هـ1988م، ط1.
39. القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن (ت: 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ط3، ص: 62.
40. قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ- 2003م، ط32.
41. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي(ت: 749هـ) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق/ الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ 1992م.
42. المصطفى، (الدكتور) شوقي، المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2005م.
43. الناجح، (الدكتور) عزي الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس - تونس، 2011م، ط1.
44. والرضي، محمد بن الحسن (ت: 686هـ): شرح الرضي على الكافية، تحقيق/ يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي- ليبيا، 1996م، ط2.
45. ياسوف، (الدكتور) أحمد زكريا، الصورة الفنية في الحديث النبوي، دار المكتبي، دمشق، 2006، ط1.

الدوريات:

1. ابن زياد، (الدكتور) صالح بن غرام الله، البلاغة العربية من حيث هي موقف تلقٍ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، المجلد (23)، العدد (91)، صيف 2005م.
2. بقوقرة، (الدكتور) نعمان، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، العدد (407)، السنة (35)، 2005م.
3. بنعبو، (الدكتور) الحسن، المنحى الحجاجي للخطاب القرآني وآثره في منهج الاستدلال الأصولي، مجلة الإحياء، العدد (26).
4. رشيد، (الدكتور) الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (34)، العدد (1)، يوليو- سبتمبر، 2005م.
5. رشيد، (الدكتور) الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (34)، العدد (1)، يوليو- سبتمبر، 2005م.
6. الرقبي، (الدكتور) رضوان، الاستدلال الحجاج التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (40)، العدد (2)، أكتوبر- سبتمبر، 2011م.
7. سرحان، (الدكتور) هيثم، الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد (11)، محرم 1435هـ 2013م.
8. طلحة، محمود، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، جملة الخطاب، منشورات مخبر تحيل الخطاب، جامعة مولودي معمري- تيزي وزو، العدد (3)، مايو 2008م.
9. العزاوي، (الدكتور) أبو بكر، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، الرباط المغرب، العدد (4)، السنة الثانية شوال 1411هـ- مايو1991م.
10. المسدي، (الدكتور) عبد السلام، المتخيل الشعري عند أمل دنقل، مجلة نزوت، عمان، العدد (38)، أبريل 2004م.
11. ولد الأمين، محمد سالم، مفهوم الحجاج عند (برلمان)، عالم الفكر، الكويت، المجلد (28)، العدد(3)، يناير/مارس، 2000م.

Hajajite speech mechanisms in the ataite wisdoms texts for ibn ata'a allah

Fahed Derhem Mohammed Abdullah Alghanmi
E - mail: Fahdaghanmi@gamil.com

Abstract:

This study aimed to explore the Hajajite construction characteristics in the Ataite wisdoms texts for Ibn Ata'a being guiding and educational. The objective is to introduce behavioral guidance that behave man and make him delicate. It also interpret for him many mysterious facts which he faces, and which may appear disturbing while really have implied goodness. This study was conducted due to the Hajajite values found, a blend of fine linguistics and philosophy.

For the devotee's path requiring devotion and giving up life's lures and temptations, a thing that may be undesirable for human beings psyche tends to desire and lures, the mechanisms of building the guiding discourse should have Hajajite inductive tools that help the reception of man and lead to a change in his thoughts and beliefs towards his whims and desires, then his behavior and deeds. The study utilized, in its treatments of the Hajajite mechanism in the these wisdoms, from the evidences of al-Hajaj theory and modern linguistics.

The Hajajite mechanisms appeared clearly in a number of Linguistic and rhetorical tools of Hajite vision, in addition to the special competencies it has and the other elements it has in the sofist discourse; beginning from Skeikh's status through the text's writer- with its discourse properties, ending up with the other elements, which largely contribute to directing the discourse semiotics and preparing for the reception of such discourse.

The nature of the study required considering two sub-titles which are of significance for the study:

1 . The theory of al-Hajaj (for the classicist and modernists)

2 . The Hajajites instruements in the wisdoms (Linguistical and rhetorical)

A theoretical background was introduced regarding the term of al-Hajaj, and its lexical and contextual meaning. A general review of the structural wisdoms was also introduced. The study conclude with a set of finding regarding the nature of using the Hajajite wisedoms.

Keywords: The Hajajite, Ata'aite wisdoms, Ibn Ata'a, devotee, instruements